كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

اختيارات أبى عبيد
فى كتابه "غريب الحديث "

دراسة لغوية موازنة

إعداد

د/ أحمد حسن حسين أبو عناية

أستاذ أصول اللغة المساعد
في كلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد السابع والثلاثون الجزء الثاني ٢٠١٨م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص باللغة العربية

لا يخفى أن علم غريب الحديث فنٌ جليلُ القدر ، عظيم القيمة ، له خَطَرُه في فهم الحديث النبوى الشريف : فهو من أهم العلوم وأشرفها ، وأفضلها وأنفعها ، لتعلقه بفهم المراد من حديث المعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآثار صحابته الكرام .

كما لا يخفى أيضًا ما لمصنف أبى عبيد فى غريب الحديث من مكانة عالية ، بين المدونات العلمية فى هذا الفن ، إذ يعد عمدة المصنفات فى علم غريب الحديث ، لما اشتمل عليه من مقدرة تَامَّة فِي بَيَان اللَّفْظ ، وَصِحَّة الْمَعْنى ، وجودة الاستنباط وَكَثْرَة الْفِقْه .حتى أضحى هذا الكتاب القيم إمامًا لأهل الحديث ، به يتذاكرون ، وإليه يتحاكمون .

وانطلاقًا من هذه الأهمية كان هذا البحث الذى يتناول بالدراسة العلمية اختيارات أبى عبيد القاسم بن سلام فى تفسيره للألفاظ اللغوية ودلالتها فى كتابه " غريب الحديث " من خلال الموازنة بين جميع الآراء التى قيلت فى تأويل الحديث ؛ رغبة فى الوقوف على أحسن الآراء ، وأقربها ، من مراد رسول الله ، ومراد صحابته الكرام من بعده .

والله أسأل وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به شداة العربية ولغة القرآن .

Research Summary

It is no secret that science strange modern art Jalil much, great value, is particularly dangerous in the modern prophetic understanding of Sharif: It is the most important science and Ocharfha, the best and advantageous, for attachment to an understanding of the meaning of modern infallible peace be upon him and the effects of dear companions.

Nor is also obvious that a work of Abu Obeid in the strange talk of the high profile, between scientific blogs in this art, as is the mayor of works in strange modern science, what included it from the full ability in a statement word, and the validity of meaning, the quality of eduction and the large number ofFiqh .

So This valuable book has become an imam of the people of the hadeeth Based on these values, this research, which deals with the scientific study choices Abu Obeid Bin Qasim peace in the interpretation of the language of words and their significance in his book "strange talk" by balancing all the opinions that have been said in the interpretation of the modern; the desire to stand up to the best views, and most recently, from Murad Rasul Allah, and his beloved companions after him.

God ask and make him sincere to his holy face, and benefit the Arab and the language of the Koran.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله خالق الكون من العدَم ، والصلاة والسلام على المخصوص بجوامع الكلم ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ،،،

فإن أفضل ما تعلق به الطالب ، ورغب فيه الراغب ، كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، فبهما قوام الدين ، وعليهما اعتماد المسلمين فى سلوك الطريق المستقيم ، أملاً فى النجاة يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ومما لا يخفى أن علم غريب الحديث : من أهم العلوم وأشرفها ، وأفضلها وأنفعها لتعلقه بفهم المراد من حديث المعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآثار صحابته الكرام .

ولا يخفى أيضًا ما لمصنف أبى عبيد فى غريب الحديث من مكانة عالية ، ومنزلة رفيعة بين المدونات فى هذا الفن ، فهو كما يقول عنه الإمام الخطابى :

" كَانَ أول من سبق إِلَيْهِ وَدلّ من بعده عَلَيْهِ أَبُو عبيد الْقَاسِم بن سَلام ، فانه قد انتظم بتصنيفه عَامَّة مَا يحْتَاج إِلَى تَفْسِيره من مشاهير غَرِيب الحَدِيث ، فصار كتابه إمامًا لأهل الحديث ، به يتذاكرون ، وإليه يتحاكمون "[1] .

(١) ينظر : غريب الحديث للخطابى ١ / ٤٧ ، ٤٨ .

من هذا المنطلق كان اختيارى لهذا البحث الذى جاء عنوانه :

" اختيارات أبى عبيد فى كتابه غريب الحديث

دراسة لغوية موازنة "

ولست أهدف من هذا البحث إلى تعقب أبى عبيد ـ رحمه الله ـ فى كتابه لإخراج سقطاته ، أو تعداد هفواته و زلاَّته ، فأنى لمثلى أن يقف مثل هذا الموقف الذى تقصر عنه همتى ، ويتضاءل فى الوصول إليه إدراكى وفهمى .

وإنما كان قصدى من وراءه عرض اختيار أبى عبيد فى تفسيره لألفاظ غريب الحديث على مائدة البحث العلمى ، من خلال دراسة لغوية موازنة بين جميع الآراء التى قيلت فى تأويل الحديث ، رغبة فى الوقوف على أحسن الآراء وأولاها ، وأقربها وأدناها ، من مراد رسول الله ، ومراد صحابته من بعده ، يستوى فى ذلك عندى ما كان الرأى الذى يترجح لدىَّ من انتقاء أبى عبيد ، أو من اختيار غيره من العلماء ، أو كان جامعًا بين قوله وقول غيره فيه .

وقد تحددت دوافع اختيارى لهذا الموضوع في عدة أسباب من أهمها ما يلى :

أولا : أهمية علم غريب الحديث ، وقيمته بين العلوم اللغوية مما يغرى الباحث بمواصلة البحث فيه إظهارًا لغوامضه ، وتجلية لدقائقه .

ثانيًا : المكانة العظيمة التى يحتلها مصنف غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام بين المصنفات المتعددة فى هذا العلم .

ثالثًا : تعرض أبى عبيد للتعقب فى مصنفه غريب الحديث من قِبَلِ بعض العلماء ، كان دافعًا لاختيار هذا الموضوع ، بغية الوصول إلى تحقيق القول فى هذا الاختلاف .

منهج البحث

ينتظم المنهج الذى سرت عليه فى بحثى هذا فى عدة خطوات أجملها فى الآتى :

أولاً : إيرادُ الحديث الذى صرح فيه أبو عبيد باختياره نصًا ، كان يقول: " وهو عندى كذا ، أو هو الوجه ، أو الصواب ، أو غير ذلك من عبارات يلمح منها الترجيح والاختيار .

ثانيًا : تخريج الحديث مناط الدراسة من مظانه فى كتب الحديث والمصنفات اللغوية الأخرى .

ثالثًا : بيان معانى المفردات التى تسهم فى تجلية معنى الحديث إجمالاً وشرحها من المدونات اللغوية .

رابعًا : استقصاء جميع الوجوه التى قيلت فى تأويل الحديث مما لم يورده أبو عبيد فيه ، من خلال كتب اللغة وشروح الحديث .

خامسًا : دراسة تحليلة لجميع الآراء التى قيلت فى تأويل الحديث مناط الدراسة ، مع ذكر حجج القائلين بها وشواهدهم ، ووجه استشهادهم فيها .

سادسًا : ترجيح ما يغلب على الظن أنه الأقرب فى تأويل الحديث داعمًا ذلك بالأدلة المتنوعة .

هذا ... وقد جاء البحث فى مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة مباحث ، ثم خاتمة وفهرس للمصادر وآخر لموضوعات البحث .

أما المقدمة : فتحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره وطريقة عرضه ، والمنهج المتبع فيه .

وفى التمهيد : وعنوانه " أبو عبيد القاسم بن سلام وكتابه غريب الحديث ، عرضت فيه للتعريف بأبى عبيد ، ومصنفه غريب الحديث ، واشتمل على :

أولاً : أبو عبيد القاسم بن سلام " ترجمة وتعريف " .

ثانياً : كتاب غريب الحديث " عرض وتوصيف " .

المبحث الأول : فى بناء المفردات اللغوية وضبطها وتأصيلها .

ويضم هذا المبحث عددًا من اختيارات أبى عبيد مما كان الخلاف فيه فى بنائه وتأصيله ، وضبط هيئته من الألفاظ المفسرة فى الحديث ، وما يتبع ذلك من تباين فى دلالتها .

المبحث الثانى : فى دلالة المفردات اللغوية .

ويندرج تحته ما كان من اختيار أبى عبيد فى إيثار وتحديد معنى من المعانى المتعددة التى تحتملها المفردة اللغوية فى الحديث .

المبحث الثالث : فى اشتقاق المفردات اللغوية .

ويحوى عددًا من الاختيارات القائمة على إثر الاشتقاق فى التنوع الدلالى للألفاظ فى الحديث .

المبحث الرابع : فى العموم والخصوص الدلالى .

وفيه اختيار أبى عبيد فى تفسير دلالة الألفاظ بين عموم الدلالة وتخصيصها .

المبحث الخامس : فى الحقيقة و المجاز .

ويشمل اختيار أبى عبيد فى تفسير دلالة الألفاظ بين حقيقة اللفظ وتأويله على وجه من أوجه المجاز .

الخاتمة : وفيها عرض لأهم ما أسفر عنه البحث من نتائج .

وبعد ... فما كان من توفيق فمن الله ، وما كان من خطأ أو سهو فمنى ومن الشيطان ، وأعوذ بالله من حيرة الجهل ، وفتنة العلم ، وسوء المنقلب ، والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

تمهيد

أبو عبيد القاسم بن سلام وكتابه غريب الحديث

كان لزامًا علىَّ وأنا بصدد الدراسة لاختيارات أبى عبيد فى كتابه " غريب الحديث " أن أقدم تعريفًا موجزا بهذا العلَم اللغوى وبكتابه ، فأقول وبالله التوفيق :

أولاً : أبو عبيد القاسم بن سلام " ترجمة وتعريف"[1]

اسمه ونسبه :

هو القاسم بن سلام بن مسكين بن زيد ، أبو عبيد الهروي ، الأزدي الخزاعي مولاهم الخراساني البغدادي ، الإمام البحر المحدث المجتهد اللغوى الفقيه .

مولده وحياته :

ولد أبو عبيد بهراة [2] لأب كان مملوكًا روميًا لرجل من أهل هراة ، سنة أربع وَخمسين وَمِائَة ، وقيل سبع وخمسين ، وبهراة نشأ أبو عبيد نشأته الأولى ثم أخذ فى طلب العلم ، فقدم بغداد ، فقَرَأَ الْقرَان على الْكسَائي ، وَإِسْمَاعِيل بن جَعْفَر ، وشجاع بْن أَبى نصر ، وغيرهم ، كما سمع الحَدِيث من إِسْمَاعِيل بن عَيَّاش ، وَإِسْمَاعِيل بن جَعْفَر وغيرهم ، وَنظر فِي الْفِقْه والأدب ، والقراءات وأصناف عُلُوم

---

(١) ينظر ترجمته و أخباره فى : الفهرست لابن النديم ١ / ٩٧ ، وتاريخ بغداد ١٤ / ٣٩٢ ، ومعجم الادباء لياقوت الحموى ٥/ ٢١٩٨ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤ / ٦٠ ، وتذكرة الحفاظ للذهبى ٢ / ٥ ، وسير أعلام النبلاء للذهبى ١٠ / ٤٩٠ ، والوافى بالوفيات للصفدى ٢٤ / ٩١ ، وغاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ١٧ ، وطبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ١/ ٦٧

(٢) هراة بالفتح : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان ، نسب إليها خلق كثير من الأئمة والعلماء . ينظر : معجم البلدان ٥ / ٣٩٦ .

الاسلام الأخرى ، فأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، والأصمعى ، وأبي محمد اليزيدي وغيرهم من البصريين ، كما أخذ عن ابن الاعرابي ، وأبي زياد الكلابي ، ويحيى بن سعيد الأموي ، وأبي عمرو الشيباني ، والفراء ، والكسائي من الكوفيين ، حتى قوى وتصدر فصار إمام عصره ، وسيد دهره .

وأقام أبو عبيد ببغداد مدة ، ثم ولي القضاء بطرسوس[١] ثماني عشرة سنة أيام ثابت بن ناصر ، ودخل دمشق ، ورحل إلى مصر سنة ٢١٣ هـ ، وعاد إلى بغداد فسمع الناس من كتبه ، وقد اشتغل بتأديب آل هرثمة بن أعين الأمير الذى قتله المأمون سنة ٢٠٠هـ ، ثم انقطع للأمير عبد الله بن طاهر الخزاعي – أمير خراسان ، فلزمه ، فكان كلما ألف كتابًا أهداه إليه ، ثم خرج أبو عبيد إلى مكة حاجًا فسكن بها حتى مات رحمه الله .

صفاته ومكانته :

كان أبو عبيدٍ ـ رحمه الله ـ من العلماء الرَّاسخين ، والعباد الزاهدين ، كان رجلا أحمر الرأس واللحية ، يخضب بالحناء ، ذا وقار وهيئة "[٢] ، وصاحب دين وورع يلمس ذلك مما روى عنه أنه كان ـ رحمه الله ـ يقسم الليل أثلاثًا ، فثلث للنوم ، وثلث للصلاة ، وثلث لمطالعة الكتب والنظر فيها[٣] .

---

(١) طرسوس : بفتح أوله وثانيه وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم بها قبر المأمون . ينظر : معجم البلدان ٤ / ٢٨ .

(٢) ينظر : الفهرست ١ / ٩٧ .

(٣) ينظر : تاريخ بغداد ١٤ / ٣٩٢ .

وقد حاز قصب السبق فى العلم والدين ، فأضحى إمامًا فى كثير من العلوم اللغوية والدينية ، إذ تمكن ـ رحمه الله ـ بعقليته النادرة من الوقوف على نتاج من تقدمه فى ميدان اللغة ، وعلوم القرآن والحديث ، ومعانى الشعر وغيرها فاستوعبه وجمع ما تفرق منه ، وهذبه ، وأضاف إليه وأخرجه فى ثوب قشيب يحسب له ويسند إليه .

ولأجل ذلك كثر مدح العلماء له ، وثناؤهم عليهم ، وفيما يلى بعض ما نعته به الأئمة العلماء ، فها هوذا الجاحظ يقول عنه :

" ومن المعلمين ، ثم الفقهاء والمحدثين ، ومن النحويين ، والعلماء بالكتاب والسنة ، والناسخ والمنسوخ ، وبغريب الحديث ، وإعراب القرآن ، وممَّن قد جمع صنوفًا من العلم : أبو عُبيدٍ القاسمُ بنُ سلَّامٍ ، وكان مُؤدِّبًا لم يكتب الناسُ أصحَّ من كُتُبه ، ولا أكثرَ فائدةً [(١)].

ونقل الخطيب البغدادى عن ابن درستويه قوله عن أبى عبيد :" من علماء بغداد المحدثين النحويين على مذهب الكوفيين ، ورواة اللغة والغريب ، عَنِ البصريين ، والكوفيين، والعلماء بالقراءات ، ومن جمع صنوفا من العلم ، وصنف الكتب في كل فن من العلوم والآداب فأكثر، وشهُر أَبُو عبيد القاسم بْن سلام "[(٢)]

وروى ياقوت عن اسحاق بن راهويه قوله : ": يحب الله الحقّ، أبو عبيد أعلم مني ومن أحمد بن حنبل ، ومن محمد بن إدريس الشافعي[(٣)]. وقال عنه شمس الدين الذهبي : " من نظر في كتب أبي عبيد علم مكانه من الحفظ والعلم ، كان

(١) ينظر : طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ١/ ١٩٩ .

(٢) ينظر : تاريخ بغداد ١٤ / ٣٩٢ .

(٣) ينظر : معجم الادباء ٥ ٢١٩٩ .

حافظًا للحديث وعلله ...، عارفًا بالفقه والاختلاف ، رأسًا في اللغة، إمامًا في القراءات[١]

آثاره ومصنفاته : رزق أبو عبيد ـ رحمه الله ـ بركة التصنيف فألف العديد من المصنفات الدالة على سعة علمه وتبحره ، وخلَّف لمن جاء بعده زادًا لا ينفذ من أمهات المصنفات فى العلوم اللغوية والدينية ، ويعد ابن النديم أقدم من قدم لنا ثبتًا بمؤلفات أبى عبيد وهى عنده على النحو التالى :

١ ـ كتاب غريب المصنف	٢ ـ كتاب غريب الحديث
٣. كتاب غريب القرآن	٤ ـ كتاب معاني القرآن
٥ ـ كتاب الشعراء	٦ ـ كتاب المقصور والممدود
٧ ـ كتاب القراءات	٨ ـ كتاب المذكر والمؤنث
٩ ـ كتاب الأموال	١٠ ـ كتاب النسب
١١. كتاب الأحداث	١٢ ـ كتاب الأمثال السائرة
١٣ ـ كتاب عدد آي القرآن	١٤ ـ كتاب أدب القاضي
١٥ ـ كتاب الناسخ والمنسوخ	١٦ ـ كتاب الإيمان والنذور
١٧ ـ كتاب الحيض	١٨ ـ كتاب فضائل القرآن
١٩ ـ كتاب الحجر والتفليس	٢٠ ـ كتاب الطهارة

وله غير ذلك من الكتب الفقهية[٢].وقد أوصل الدكتور / حسين محمد شرف محقق كتاب غريب الحديث مؤلفات أبى عبيد إلى تسعة وثلاثين مصنفًا [٣].

(١) ينظر : تذكرة الحفاظ ٢ / ٦ .

(٢) ينظر : الفهرست ١ / ٩٧ .

(٣) ينظر : مقدمة التحقيق ص ٤١ .

وفاته :

خرج أبو عبيد إلى مَكَّة حَاجًا ، فاستقر بها حَتَّى مَاتَ فِي شهر الله الْمحرم سنة أَربع وَعشْرين وَمِائَتَيْنِ للهجرة ، فى خلافة المعتصم ، عن ثلاث وسبعين سنة ، وَدفن فِي دور جَعْفَر[١] .

ومما يروى فى وفاته : " أنه لما فرغ من الحج ، وعزم على الانصراف واكترى إلى العراق ، رأى في الليلة التي عزم على الخروج في صبيحتها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في منامه وهو جالس ، وعلى رأسه قوم يحجبونه ، وناس يدخلون فيسلمون عليه ويصافحونه ، قال : فكلما دنوت لأدخل مُنعت ، فقلتُ لهم : لم لا تخلون بيني وبين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا : لا والله لا تدخل إليه ، ولا تسلم عليه ، وأنت خارج غدًا إلى العراق ، فقت لهم : إني لا أخرج إذًا ، فأخذوا عهدي، ثم خلوا بيني وبين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدخلتُ وسلمت عليه وصافحني ، فأصبحت ففسخت الكراء وسكنتُ بمكة [٢] ، رحمه الله وأجزل له الثواب جزاء ما قدم وعلم.

(١) ينظر : تاريخ بغداد ١٤ / ٣٩٢ .

(٢) ينظر : وفيات الأعيان ٤ / ٦٢ .

ثانيا : كتاب غريب الحديث " عرض وتوصيف "

أ ـ معنى غريب الحديث وسبب التأليف فيه :

الغريب فى اللغة : الغامض الخفى من الكلام ، قال الخليل : " والغَرِيبُ: الغامض من الكلام ، وغربت الكلمة غرابة [١] ، ويقول الأزهرى : " والغريب من الْكَلَام: العُقْمِيُّ الغامضُ[٢] ويقول الخطابى : " الغريب من الكلام : إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس، إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل ..... ثم إن الغريب من الكلام يقال به على وجهين : أحدهما : أن يراد به بعيدُ المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر، والوجه الآخر أن يراد به : كلام من بعدت به الدار، ونأى به المحل من شواذِّ قبائلِ العرب ، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها، وإنما هي كلام القوم وبيانهم [٣].

ويقصد بغريب الحديث : تلك الألفاظ التى صدرت منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حديثه ، مما يحتاج فى بيانه ومعرفته إلى تفسير أو توضيح ، بحيث لا يتَنَاوَلها الْفَهم إِلَّا عَن بعد ومعاناة فكر . يقول الإمام النووى : " غريب الحديث: هو ما وقع في متن الحديث من لفظة غامضة بعيدة من الفهم لقلة استعمالها"[٤]

وعلم غريب الحديث : هو من المهمّات المتعلقة بفهم الحديث والعلم والعمل به، لا بمعرفة صناعة الإسناد وما يتعلق به . وهو فنٌ جليلُ القدر، له خَطَرُه في فهم الحديث الشريف، ويتطلب من طالب الحديث اتقانه وفقه معانيه، ويجب أن

---

(١) ينظر : العين ٤ / ٤١١ باب الغين والراء والباء معهما .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة ٨ / ١١٦ أبواب الغين والراء .

(٣) ينظر : غريب الحديث للخطابى ١ / ٧٠ ، ٧١ .

(٤) ينظر : التقريب والتيسير للنووى ١/ ٨٧ .

يتثبت فيه أشدّ تثبت. وقد روي عن الامام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ أنه سئل عن حرف من غريب الحديث فقال : "سلوا أصحاب الغريب، فإنّي أكره أَنْ أتكلم في قول رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –، بالظّن فأخطئ" .. لذلك قال المحدّثون: الخَوْضُ فيه صعْبٌ، فليتحر خائِضُه(١).

وقد أوضح الإمام الخطابى السبب فى كثرة الغريب فى حديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :

" أَنه صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم بُعث مُبلغًا ومُعلمًا ، فَهُوَ لَا يزَال فِي كل مقَام يقومه وموطن يشهده ، يَأْمر بِمَعْرُوف وَينْهى عَن مُنكر، ويشرع فِي حادثه ، ويفتى فِي نازلة ، والاسماع إِلَيْهِ مصغية ، والقلوب لما يرد عَلَيْهَا من قَوْله وَاعِيَة ، وَقد يخْتَلف عَنْهَا عباراته ، ويتكرر فِيهَا بَيَانه ، ليَكُون أوقع للسامعين ، وَأقرب إِلَى فهم من كَانَ مِنْهُم أقل فقها ، وَأقرب بالإسلام عهدًا ، وأولو الْحِفْظ والاتفاق من فُقَهَاء الصَّحَابَة يوعونها كلهَا سمعا ، ويستوفونها حفظا ، ويؤدونها على اخْتِلَاف جهاتها ، فتجمع لَك لذَلِك فِي الْقَضِيَّة الْوَاحِدَة عدَّة أَلْفَاظ تحتهَا معنى وَاحِد ، وَذَلِكَ كَقَوْلِه صلى الله عَلَيْهِ : الْوَلَد للْفراش ، وللعاهر الْحجر، وفى رِوَايَة أُخْرَى : وللعاهر الاثلب ، وَقد مر بسماعي وَلم يثبت عِنْدِي : وللعاهر الكثكث ، وَقد يتَكَلَّم ـ صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم ـ فِي بعض النَّوَازِل بِحَضْرَتِهِ أخلاط من النَّاس قبائلهم شَتَّى ، ولغتهم مُخْتَلفَة ، ومراتبهم فِي الْحِفْظ والاتقان غير مُتَسَاوِيَة ، وَلَيْسَ كلهم يَتَيَسَّر لضبط اللَّفْظ وحصره ، أَو يتَعَمَّد لحفظه ووعيه ، وَإِنَّمَا يسْتَدرك المُرَاد بالفحوى ،

(١) ينظر : اصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث ١/ ١١ .

وَيتَعَلَّق بالعمى ، ثمَّ يُؤَدِّيه بلغته ، ويعبر عَنهُ بِلِسَان قبيلته ، فيجتمع فِي الحَدِيث الْوَاحِد إِذا انشعبت طرقه عدَّة أَلْفَاظ مُخْتَلفَة مُوجبهَا شئ وَاحِد "[1] .

ب ـ قيمة كتاب أبى عبيد بين مصنفات غريب الحديث

يُعدُّ مصنف أبى عبيد فى غريب الحديث من أهم المصنفات المدونة فى هذا الفن ، وهو وإن كان مسبوقا بالتأليف فيه إذ سبقه إلى ذلك جماعة منهم : النضر بن شميل ، وقطرب ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد ، والأصمعى ، إلا أن مصنف أبا عبيد هذا يظل عمدة المصنفات المدونة فى علم غريب الحديث ، وإليه المرجع فيها لما اشتمل عليه من مقدرة تَامَّة فِي بَيَان اللَّفْظ ، وَصِحَّة الْمَعْنى ، وجودة الاستنباط وَكَثْرَة الْفِقْه ، فهو مصنف حافل بالحديث والآثار ، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الجمة ، وعليه معتمد الناس، قال الخطيب البغدادى : "

وكتاب غريب الحديث، أول من عمله أَبُو عبيدة معمر بْن المثنى ، وقطرب، والأخفش ، والنضر بْن شميل ، ولم يأتوا بالأسانيد ، وعمل أَبُو عدنان النحوي البصري كتابًا في غريب الحديث، ذكر فيه الأسانيد ، وصنفه على أبواب السنن والفقه إلا أنه ليس بالكبير ، فجمع أَبُو عبيد عامة ما في كتبهم ، وفسره ، وذكر الأسانيد، وصنف المسند على حدَّته، وأحاديث كل رجل من الصحابة والتابعين على حدته، وأجاد تصنيفه ، فرغب فيه أهل الحديث والفقه ، واللغة ، لاجتماع ما يحتاجون إليه فيه[2] ، ولأنه كما قال الخطابى : " قد انتظم بتصنيفه عَامَّة مَا

(١) ينظر : غريب الحديث للخطابى ١ / ٦٨ .

(٢) ينظر : تاريخ بغداد ١٤ / ٣٩٢ .

يحْتَاج إِلَى تَفْسِيره من مشاهير غَرِيب الحَدِيث وَصَارَ كِتَابه إِمَامًا لاهل الحَدِيث بِهِ يتذاكرون وَإِلَيْهِ يتحاكمون "[١]

وروى ابن خلكان عن محمد بن وهب المسعري قال : " سمعت أبا عبيد يقول: كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهرا فرحا مني بتلك الفائدة "[٢]

فهذه الرواية دليل على تعظيم أبى عبيد للحديث ، إِلَى حد أَنه كَانَ يعد جمع الحَدِيث ونوادره من الْعِبَادَات .

ويروى : أن أول من سمع كتاب غريب الحديث من أَبى عبيد كان الإمام يحيى بن معِين ، وَعرض هَذَا الْكتاب على الإمام أَحْمد بن حَنْبَل فَاسْتَحْسَنَهُ وَقَالَ : جزاه الله خيرا[٣] ،

ولما عرض مصنفه هذا على عبد الله بن طاهر اسْتَحْسَنَهُ وَقَالَ : إِن عقلا بعث صَاحبه على عمل هَذَا الْكتاب ، حقيق أَن لَا يحوج إِلَى طلب المعاش وأجرى لَهُ كل شهر عشرَة آلَاف دِرْهَم [٤].

ثالثا : وصف كتاب غريب الحديث ومنهج أبى عبيد فيه

(١) ينظر : غريب الحديث للخطابى ١ / ٤٨ .
(٢) ينظر : وفيات الأعيان ٤/ ٦١ .
(٣) ينظر : تاريخ بغداد ١٤ / ٣٩٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٤٩٦ .
(٤) ينظر : تاريخ بغداد ١٤ / ٣٩٢ .

كتاب غريب الحديث لأبى عبيد : مصنف يعنى فيه مؤلفه بتتبع الألفاظ المشكلة فى حديثه ـ صلى الله عليه وسلم وآثار صحابته الكرام ـ فيتناولها بالشرح والتفسير وتوضيح ما بها من غرابة ، وما يتعلق بذلك من مسائل اللغة والفقه مستعينًا فى ذلك بما تقدمه من مدونات فى هذا الفن .

منهج أبى عبيد فى الكتاب :

إن المنهج العام لأبى عبيد فى هذا الكتاب يتمثل فى تناول ألفاظ الحديث المشكلة الغريبة بالشرح والتفسير مستعينا فى ذلك بأقوال من تقدمه ، مع مزيد من الشرح مع الاهتمام الزائد بسند الأحاديث ، وعرض قضايا العربية ، وكثير من الأحكام الفقيه المستنبطة من الحديث .

وقد أورد محقق كتاب غريب الحديث الكتور / حسين محمد شرف عدة سمات لمنهج أبى عبيد فى الكتاب[١] أذكر منها :

١ ـ ابتداؤه بتفسير أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده بادئا بأحاديث الخلفاء ، ثم أحاديث بعض أمهات المؤمنين ، ثم أحاديث بعض التابعين ، ثم تفسير أحاديث قليلة لا يعرف أصحابها .

٢ ـ نقله الحديث منسوبًا لصاحبه ، وإيراد سنده ، وهذا من أهم ما يميز منهج أبى عبيد عن غيره من مؤلفى غريب الحديث .

٣ ـ اقتصاره على ذكر موطن الغريب خاصة فى الأحاديث الطوال تفاديًا للإطالة .

(١) ينظر : مقدمة المحقق ١/ ٥٧ وما بعدها .

٤ . ابتداؤه فى تفسير غريب الحديث باستقصاء ما يحتاج إلى توضيح من وجوه العربية ،فإذا وفاها حقها انتقل إلى بيان ما يحتاج إلى بيانه من أحكام فقهية .

٥ . التماسه تفسير الغريب من عدة مصادر أهمها القرآن الكريم ، والحديث الشريف والشعر العربى والأمثال والأقوال اللغوية .

٦ . عدم الاقتصار فى تفسير غريب ألفاظ الحديث على إيراد المعنى اللغوى للألفاظ المفسرة فقط بل اتسع ليشمل معالجة الكثير من القضايا اللغوية وعلوم الحديث والدراسات الفقيه فجاء مصنفه بحرًا ذاخرا بالعديد من القضايا .

المبحث الأول
فى بناء المفردات اللغوية وضبطها وتأصيلها

تمهيد :

يضم هذا المبحث عددًا من الألفاظ التى جاء اختيار أبى عبيد فيها على تحديد بناء اللفظة اللغوية ، وكيفية ضبطها ، وبيان أصلها ، وفيما يلى دراسة لهذه الألفاظ مرتبة ألفبائيًا :

١ـ أذن

فِي حَدِيث النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام " **مَا أذِنَ اللهُ لشَيْءٍ أذَنَه لنَبِيّ يتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ أن يجْهر بِهِ** "[1] .

قال أبو عبيد : أما قَوْله : كأذَنِه يَعْنِي : مَا اسْتمع اللَّه لشَيْء كاستماعه لنَبِيّ يتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ ، قال أبو عبيد : وَبَعْضهمْ يرويهِ : كَإِذْنِهِ لنَبِيّ يتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ " بِكَسْر الْألف ، يذهب بِهِ إِلَى الْإِذْن من الاسْتِئْذَان ، وَلَيْسَ لهَذَا وَجه عِنْدِي .

الدراسة والتحليل

"الحديث المتقدم مِمَّا يُشْكِلُ وَلَا يضبطُه إلا أَهْلُه"[2] حيث روى بعدة روايات يعنينا منها " روايتان :

---

(١) الحديث فى صحيح البخارى ٦ / ١٩١ بلفظ" لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ» وعند مسلم ١ / ٥٤٥ ، مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ»وكذا فى سنن أبى داوود ٢/ ٧٥".

(٢) ينظر : تصحفيات المحدثين ١ / ٣٥٦ .

الروايـــة الأولى : روايــة " مــا أذِنَ الله لشــيءٍ أَذَنَــهُ لنبــى يتغنــى بــالقرآن " بفتح الهمزة والذال من قوله " أَذَنَهُ "[١] .

والرواية الثانية : "هى بكسر الهمزة وسكون الذال " إِذْنَهُ "[٢]

وتبعًا لهذا الاختلاف فى الضبط فقد اختلف فى تفسير معنى الحديث على الروايتين ، فرواه أبو عبيد " أَذَنَهُ " بفتح الهمزة والذال مفسرًا إياها أنه من أذِن : بمعنى : استمع ، وعليه يكون معنى الحديث : ما استمع الله لشيء استماعه لنبى يتغنى بالقرآن . وقد استدل أبو عبيد لما ذهب إليه بأمور منها :

١ ـ ما نقل عن الإمام مجاهد من تفسيره قَوْله تَعَالَى {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتَ}[٣] ، حيث فسَّر " أذِنَتْ " فى الآية بمعنى : سَمِعَتْ لربها وأطاعت[٤] ، وبقول عدي بن بن زيد:

أيهَـــا القلـــبُ تَعَلـــلْ بـــدَدَنْ ∴ إنَّ هَمـــي فِـــي سَـــماع وَأَذَنْ [٥]

(١) وهى رواية الدارمى فى مسنده ٢/ ١١٠٣ ، ومقاييس اللغة ١ / ٧٦ . بَابُ الْهَمْزَةِ وَالذَّالِ وَمَا مَعَهُمَا فِي الثُّلَاثِيِّ .

(٢) الحديث بهذه الرواية عند ابن أبى شيبة فى مصنفه ٢ / ٢٥٧ والدارمى فى سننه ٩٣٣/٢ ٩٣٣/٢ ، والسنن الكبرى للنسائى ٢/ ٢٧ .

(٣) الآية ٢ فى سورة الانشقاق .

(٤) ينظر : تفسير مجاهد ١ / ٧١٤ .

(٥) البيت من الرمل لعدى بن زيد فى ذيل ديوانه ١٧٢ ، وتصحيفات المحدثين ٣٦٥ ، ومقاييس اللغة ١/ ٧٦ بَابُ الْهَمْزَةِ وَالذَّالِ وَمَا مَعَهُمَا فِي الثُّلَاثِيِّ ، ولسان العرب ١٠/١٣ باب النون فصل الألف . المفردات : التعلل : الانشغال بالشيء والتسلى به ، والددن بالتحريك : اللهو واللعب .

وَقَوله أَيْضا :

فِـــي سَـــماع يَـــأْذَن الشـــيخُ لَـــهُ ∴ وَحَـــدِيث مثـــل مـــاذي مُشـــارِ[1]

يُرِيد بقوله يَأْذَن : يستمع [2].

أمـا روايـة مـن رواه " إِذْنَـهُ " بكسـر الهمـزة فجعـل معنـاه مـن الاسـتئذان وهو ما أنكره أبو عبيد ولم يجد له وجهًا .

تعليق واستنتاج

الـذى أراه هنـا موافقـة أبـى عبيـد فـى روايتـه لفـظ " أَذَنَـهُ " فـى الحـديث بفـتح الهمـزة والـذال والنـون ، وتفسـيره لـه بمعنـى : الاسـتماع ، وعليـه يكـون معنـى الحـديث : مـا اسـتمع الله لشـيء اسـتماعه لنبـى يتغنـى بـالقرآن يتلـوه و يجهر بقراءته ، ومما يقوى مذهب أبى عبيد هنا وجوه على النحو التالى :

الأول : إجماع اللغويين على مجيئ أَذِن بكسر العين فى الماضى ، ومصدره أَذَنًا بالتحريك بمعنى : استمع ، ففى العين " والأَذَنُ : الاستِماع للشيء ، "[3] زاد بن فارس : " وَقِيلَ أَذَنٌ ؛ لِأَنَّهُ بِالْأُذُنِ يَكُونُ "[4] ، وقال ابن سيده : " وأَذِنَ إِلَيْهِ أَذَناً اسْتَمَعَ [5]

(١) البيت من الرمل لعدى بن زيد فى ديوانه ص ٩٥ ، والعين ٦ / ٢٨٠ باب الشين والراء وواىء معهما ، والفائق ١/ ٣٢ ، والمعجم المفصل ٣ / ٤١٢ . المفردات : يأذن بمعنى : يستمع ، والماذى : العسل الأبيض ، والمُشار : المُجتنى .

(٢) ينظر : غريب الحديث ٢/ ١٣٩ ، و١٤٠ .

(٣) ينظر : العين ٨ / ٢٠٠ باب الذّال والنّون و (وا يء) معهما .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ١/ ٧٦ بَابُ الْهَمْزَةِ وَالذَّالِ وَمَا مَعَهُمَا فِي الثُّلَاثِيِّ .

(٥) ينظر : المحكم ١٠ / ٩٦ " الذال والنون والهمزة "

وجاء فى اللسان : وأَذِنَ إليهِ أَذَناً : اسْتَمَعَ إِلَيْهِ مُعْجباً [١] ؛ وأَنشد ابْنُ بَرِّيٍّ لِعَمْرِو ابْنِ الأَهْيَم :

فلَمَّـــــا أَنْ تسَـــــايَرْنا قَلـــــيلًا ∴ أَذِنَّ إِلَـــى الحـــديثِ، فهُـــنَّ صُـــورُ[٢]

الثانى : مما يدعم تفسير أبى عبيد الأذَن : بالاستماع هنا ما جاء في حديث فضالة بن عبيد[٣] قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " لله أشد أَذَناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن، من صاحب القينة إلى قينته "[٤].

فهذه الرواية صريحة فى كون اللفظ " أذنا بفتحتين .

الثالث : أن من فسر قوله " كإِذْنِهِ " جاعلاً إياه من الإذن ، ليس له وجه فى دلالة الحديث لأن الإذن ـ بكسر الهمزة ـ مصدر أَذِن بمعنى : أباح ، قال فى المحكم : " أَذِنَ له فِي الشَّيْءِ إِذْنًا أَباحَه لـه "[٥] ، وقال الزبيدى فى التاج : " وأَذِنَ لَهُ فِي الشَّيءِ، كسَمِعَ إِذْناً، بالكسْرِ، وأَذِيناً، كأَمِيرٍ: أَباحَهُ لَهُ ، وفى المِصْباحِ: الإِذْنُ لغَةُ الإِطْلاقِ فِي الفِعْلِ وَيكون الأَمْرُ إِذْنا ، وكَذلِكَ الإِرادَ، ونقل عن الرَّاغب قوله هُوَ الإِعْلامُ بإِجازَةِ الشيءِ والرِّخْصَة فِيهِ " .... واسْتَأْذَنَه : طَلَبَ مِنْهُ الإِذْنَ[٦].

---

(١) ينظر : لسان العرب ١٣ / ١٠ باب النون فصل الألف .

(٢) البيت من الوافر لعمرو بن الأهيم فى لسان العرب ١٣ / ١٠ ، وتاج العروس ٣٤ / ١٦٤ باب النون فصل الهمزة ، والمعجم المفصل فى شواهد العربية ٣ / ٣٣٨ .

المفردات : أذن : يعنى استمعن ، وصور : مشتاقات مائلات .

(٣) رواه ابن ماجة فى سننه ٢/ ٣٦٥ .

(٤) ينظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى ٢ / ٣١٨ .

(٥) ينظر : المحكم ١٠ / ٩٦ "الذال والنون والهمزة "

(٦) تاج العروس ٣٤ / ١٦٣ باب النون فصل الهمزة .

فلَفْظَة : أَذِنَ : بفتحة ثمَّ كسرة فِي الماضي ، وَكَذَا فِي الْمُضَارع مُشْتَرك بَين الْإِطْلَاق وَالِاسْتِمَاع تَقول: آذَنت آذن بِالْمدِّ، فَإِن أردْت الْإِطْلَاق فالمصدر بِكَسْر ثمَّ سُكُون، وَإِن أردْت الِاسْتِمَاع فالمصدر: أَذَنٌ بِفتْحَتَيْنِ"(١).

وعلى هذا التفسير اللغوى للإذن ـ بكسر الهمزة ـ لا يكون له معنى فى الحديث المذكور ؛ لأن المعنى حينئذ يتجه إلى أن يكون بِمَعْنى : الْحَث على ذَلِك وَالْأَمر بِهِ (٢)، وهو وجه يبعد حمل الحديث عليه ، لأنه لا معنى لكون الله تعالى يحث نبيه على قراءة القرآن ، ويأذن له فيه .

ولذا قال العسكرى معقبًا على هذه الرواية : " وَمن لَا يضْبط يرويهِ كَإِذْنِه فيكسر الأَلف الَّتِي هِيَ الْهمزَة ويسكن الذَّال ، فيقلب الْمَعْنى ، والصَّواب كأَذَنِهِ بِفتْحَتَيْنِ ، والأَذَنُ الاستماعُ ، يُقَالُ: أَذِنْتَ للشيءِ آذَنُ لَهُ أَذَنًا إذا استمعتَ لَهُ ".... قال : وإطلاقُ هَذَا من الله تَعَالَى عَلَى سَبِيل التَّوَسُّع وَالْمجَاز وخاطبهم عَلَى قدر تعارُفِهم وَمَعْنَاهُ : الرضَى من اللَّه سُبْحَانَهُ بِمَا يأْتِيه والإقبال عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَة" "(٣)

وقال الخطابى : " قوله : "ما أذن الله لشيء كَأَذَنِهِ لنبيٍّ يتغني بالقرآن " الألف والذال مفتوحتان ، مصدر أَذِنْتُ للشيء أَذَنًا : إذا استمعت له ، ومن قال كإِذْنِهِ ، فقد وهم "(٤)

(١) ينظر : عمدة القارى ٢٠ / ٤٠ .
(٢) ينظر : شرح السيوطى على مسلم ٢ / ٣٩٣ .
(٣) ينظر : تصحيفات المحدثين ١/ ٣٥٦ .
(٤) ينظر : غريب الحديث للخطابى ٣ / ٢٥٦ .

٢ ـ أرز

فِي حَدِيثه عَلَيْهِ السَّلَام " **مثَلُ الْمُؤمنِ مَثَلُ الخامةِ من الزَّرْعِ تَمِيلُها الرِّيح مرّة هَكَذَا وَمرَّة هَكَذَا ، وَمثل الْمُنَافِق مثَلُ الأرزة الْمُجْدِيَةِ على الأَرْض حَتَّى يكون انْجِعَافُها مرّة** "(١).

قال أبو عبيد : قَالَ أَبُو عَمْرو: وَهِي الأَرَزَة – مَفْتُوحَة الرَّاء من الشّجر الأرزن.... وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة : هِيَ الآرِزَة مثل فاعلة وَهِي الثَّابِتَة فِي الأَرْض .... قال أبو عبيد : الأَرْزة عِنْدِي غير مَا قَالَ أَبُو عَمْرو وَأَبُو عُبَيْدَة ، إِنَّمَا هِيَ الأَرْزَةُ – بتسكين الرَّاء ، وَهُوَ شجر مَعْرُوف بِالشَّام ، وقد رَأَيْته يُقَال لَهُ : الْأَرْز واحدتها: أَرْزَة ، وَهُوَ الَّذِي يُسمى بالعراق الصنوبر ، وَإِنَّمَا الصنوبر ثَمَر الأَرْزِ فَسُمي الشّجر صنوبرًا من أجل ثمره (٢).

الدراسة والتحليل

أورد أبو عبيد هنا ثلاثة أقوال فى تفسير لفظة " الأَرَزَة " فى الحديث المتقدم :

الأول : وهو قول أبى عمرو الشيبانى : أنها الأَرَزَةُ بفتح الراء مأخوذة من الشجر الأَرْزَنِ .

والثانى : قول أبى عبيدة : أنها الآرِزَةُ على وزن فاعلة بمعنى الثابتة فى الأرض.

والثالث : وهو اختيار أبى عبيد : أنها الأَرْزَة بسكون الراء : اسم لشجر معروف بالشام .ولتحليل هذه الآراء أقول :

---

(١) الحديث فى صحيح البخارى ٧ / ١١٥ ، ومسند أحمد ٢٥ / ٤٨ ، وغريب الحديث لأبى عبيد ١ / ١١٧ ، ومجمل اللغة ١ / ٣١٠ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ١ / ١١٧ ، ١١٨ .

أما قول أبى عمرو فقد نقله الأزهرى[١] والعسكرى[٢] والجوهرى[٣] ومما يؤيده قول الخليل : " والأَرْزَنُ: شَجَرٌ يُتَّخَذُ منه العِصيّ[٤] ، وقال الأزهرى : الأَرْزَن: شجرٌ تُتَّخَذ مِنْهُ عِصِيٌّ صُلْبَة [٥] .وأَنْشَد:

ونَبْعَةٍ تَكْسِرُ صُلْبَ الأَرْزَنِ[٦]

وفتح الراء من الأرْزَة مروى فيها أيضًا نقله صاحب الصحاح : فقال "الأَرزة بالتحريك: شجر الأرزن [٧]" وقال ابن حجر : " وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي سُكُونِ الرَّاءِ وَتَحْرِيكِهَا ، وَالْأَكْثَرُ عَلَى السُّكُونِ "[٨] .

وأما قول أبى عبيدة : إنها الآرِزَةُ بزنة فاعلة بمعنى الثابتة فى الأرض ، فهذا ما أنكره أبو عبيد هنا ، ويظهر أن إنكار أبى عبيد للآرزة إنما هو إنكار لرواية هذه اللفظة فى الحديث ، لا إنكار لصحة معناها ، وإلا فمعناها صحيح يمكن حمل الحديث عليه ، وهذا ما وضحه النووى بقوله : " وقال بعضهم هي الآرزة بالمد

(١) ينظر : تهذيب اللغة ١٣ / ١٧١ .

(٢) ينظر : تصحيفات المحدثين ١ / ٣٤٥ .

(٣) ينظر : الصحاح ٣ / ٨٦٣ " أ ر ز " .

(٤) ينظر : العين ٧ / ٣٥٩ " باب الزاى والراء والنون معهما "

(٥) ينظر : التهذيب ١٣ / ١٣١ " باب الزاى والراء "

(٦) البيت من الرجز بلا نسبة فى التهذيب ١٣ : ١٣٠ ، ١٣١ ، ولسان العرب ١٣ / ١٧٩ " أ رز " ، والنبعة : مؤنث النَّبع وهو شجر تتخذ منه القسى . ينظر : الصحاح ١٢٨٨/٣ " ن ب ع " .

(٧) ينظر : الصحاح ٣ / ٨٦٣ " أ ر ز " .

(٨) ينظر : فتح البارى ١٠ / ١٠٧ .

وكسر الراء على وزن الفاعلة وأنكرها أبو عبيد ، وقد قال أهل اللغة الآرزة بالمد هي : الثابتة ، قال النووي " وهذا المعنى صحيح هنا "[١] .

وأما ما اختاره أبو عبيد فهو أن الأَرْزَة ـ بسكون الراء ـ يعنى بها هنا جنس من الشجر معروف بالشام واحدته : أَرْزَةٌ ـ بسكون الراء أيضًا ـ وهو الذى يسمى بالعراق الصنوبر ، وإنما الصنوبر ثمر ذلك الشجر .

والحق أن هناك اختلافاً فى تحديد المقصود من الأَرْز فى الحديث قديمًا وحديثًا على السواء ، وهل هو شجرٌ بعينه ، أم هو شجرُ الصَّنَوبَر أو شبيهٌ له ، أو هو اسم للذكر من شجر الصنوبر خاصة ؟ وكل ذلك قد قيل ، فنقل بعضهم قول أبى عبيد فيه وأنه شجر معروف بالشام ، ويسمى بِالعِرَاق الصَّنَوبَرَ، وإنَّما الصَّنَوبَر ثمر الأرزِ فسمي الشَّجر صنوبرًا من أجل ثَمَرته [٢] ، ونقل الخطابى أن الأرز يقال هو شجر الصنوبر " [٣] .

وجاء فى معجم الشيخ العلايلي ما يفيد أن الأرْز شجر مخالف للصنوبر وإن كان من فصيلته حيث يقول : " الأرز جنس شجر حرجي من فصيلة الصنوبريات واحدته : أرزة ، وليس هو الشربين ولا الصَّنَوبَر ، كما وقع في الأصول القديمة وعند من جاراها ، والأرز من أثمن الأشجار وأعظمها يعلو قرابة (٧٠ – ٨٠) قدمًا ، وأغصانه طويلة غليظة تمتد أفقيا من الجذع ، وكثيرا ما يبلغ محيط جذع الشجرة

(١) ينظر : شرح النووى على صحيح مسلم ١٧ / ١٥٣ .

(٢) ينظر : المعلم بفوائد مسلم لمحمد بن على التميمى ٣ / ٣٤٩ .

(٣) ينظر : أعلام الحديث شرح صحيح البخارى للخطابى ٣ / ٢١٠٢ .

عشرين قدمًا أو يزيد ، يفوح من قشره وأغصانه عبير هو أزكى من المسك تستحصد أي لا تتغير حتى تنقلع مرة واحدة كالزرع الذي انتهى يبسه "[١] .

وروى عن أبى حنيفة الدينورى أنه قَالَ : " وَأَخْبَرَنِي الْخَبِيرُ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّنَوْبَر، وَأَنَّهُ لَا يَحْمِلُ شَيْئًا ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ مِنْ أَعْجَازِهِ وَعُرُوقِهِ الزِّفْتُ . [٢]

وتابعه فى ذلك النويري فقال : شجر الصّنوبر صنفان، ذكر وأنثى؛ فالذّكر هو الأرز، وهو لا يثمر، ومنه القَطِرَانُ "[٣].

تعليق واستنتاج

على الرغم من هذا الاختلاف فى تحديد المقصود بالأرْزَة فى الحديث فإن معنى الحديث يحتمل كل ما قيل فى تفسيرها من أقوال ، وذلك لأن المعنى المحورى الذى يدور حوله الجذر اللغوى " أرز " هو شدّةُ تَلاحُمٍ وتَلازُمٍ في كَزازةٍ وصَلابةٍ مع التَّجَمُّعُ وَالتَّضَامُّ [٤] ، يقول ابن فارس : الْهَمْزَةُ وَالرَّاءُ وَالزَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ لَا يُخْلِفُ قِيَاسُهُ بَتَّةً، وَهُوَ التَّجَمُّعُ وَالتَّضَامُّ [٥].

وهذا المعنى هو المقصود فى الحديث ؛ لأن الحديث قائم على تشبيه كل من المؤمن والكافر ، فالمؤمن شبيه بالغض الناعم من النبات الذى يتمايل مع الريح ، والكافر شبيه بذلك الشجر الصلب الذى ينقلع من أصله حين تداهمه الرياح.

---

(١) ينظر : المرجع للعلايلي

(٢) ينظر : فتح البارى ١٠ / ١٠٧ .

(٣) ينظر : نهاية الأرب فى فنون الأدب ١١ / ٩٦ .

(٤) ينظر : العين ٧ / ٣٨٣ " أ ر ز " .

(٥) ينظر : مقاييس اللغة ١/ ٧٨ باب الهمزة والراء وما معهما فى الثلاثى " أ ر ز " .

٣ ـ حَبره ـ حِبره

فِي حَدِيثه عَلَيْهِ السَّلَام **" أنه يخرج من النَّار رَجُل قد ذهبَ حِبْرُه وسبره "**[١]

قال أبو عبيد : قَالَ الْأَصْمَعِي : قَوْله ذهب حِبره وسِبره هُوَ : الْجمال والبهاء يُقَال: فلَانٌ حَسَنُ الحِبر والسِّبر ... وَقَالَ غَيره : حسن الحَبر والسَبر بِالْفَتْح جَمِيعًا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَهُوَ عِنْدِي بالحَبْر أشبه لِأَنَّهُ مصدر من حَبَرتُهُ حَبرًا أَي حَسَّنْتُه[٢].

الدراسة والتحليل

قوله فى الحديث " حِبْرُهُ وسِبْرُهُ "اختلف اللغويون فى نطقهما وضبطهما بين فتح أولهما وكسره ، وقد رواهما بالكسر " حِبره وسِبره " كل من الأصمعى ، وابن السكيت [٣] ، وتابعهما فى ذلك ابن الأعرابى كما نقل شمر عنه[٤] .

وروى عن غير هؤلاء الفتح فيهما ، قال ابن الجوزى : " وَبَعْضهمْ يرويهِ بِفَتْح الْحَاء وَالسِّين[٥] .

وقد مال أبو عبيد هنا إلى اختيار لغة الفتح في هذين اللفظين ، وبالرجوع إلى دواوين اللغة ومعاجمها نجد أن اللفظتين قد جاءتا بالفتح والكسر بمعنى واحد وهو : الجمال والهيئة والحُسن ، يقول الخليل :

---

(١) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ١ / ٨٥ ، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ١ / ٥٠ / والزاهر ٢ / ٢٤١ ، والغريبين للهروى ٣ / ٨٥٦ ، والفائق ١ / ٢٥١ ، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزى ١/ ٣١٧ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ١ / ٨٦ .

(٣) ينظر : إصلاح المنطق ١٥ .

(٤) ينظر : تهذيب اللغة ٥ / ٢٢ " ح ب ر " .

(٥) ينظر : غريب الحديث لابن الجوزى ١ / ١٨٦ .

"والحَبْر والسَّبْر: الجَمال والبَهاء، بالفتح والكسر" [١] ويقول الجوهرى : " يقال : " فلانٌ حسن الحِبْرِ والسِبْر ، إذا كان جميلاً حسَنَ الهيئة. .... ويقال أيضًا : فلان حسن الحَبر والسَّبر، بالفتح [٢]، وفى الفائق : والسِّبر : مَا عُرف من هَيئته وشارته ، من السَّبر وَهُوَ : تعرّفُ الشَّيْء وتقديره [٣] وقال ابن منظور : والحَبْرُ والسَّبْرُ ، والحِبْرُ والسِّبْرُ، كُلُّ ذَلِكَ: الحُسْنُ وَالْبَهَاءُ [٤] .

وقد صرح أصحاب المعاجم اللغوية بأن لغة الكسر فيهما أعلى وأكثر ، يقول ابن دريد : " وَيُقَال : ذهب حبر الرجل وسبره ، وَقَالُوا : حبْرُه وسِبْرُه ، وَهُوَ أَعلَى [٥] [٥]

وقال الانبارى : " أراد بالحِبر: الجَمالُ والنضارة ، ويروى : قد ذهب حَبْرُهُ وسَبْرُهُ [٦]. وقال الصاغانى: " ذهب حَبْرُه وسَبْره، بالفتح ، لغة في الكسر [٧] ، وعند وعند ابن الأثير : الحِبْرُ بِالْكَسْرِ، وَقَدْ يُفتح : أَثَرُ الجَمَال والهَيئة الحسَنة "[٨] .

وعلى رواية الكسر يكون الحِبْر والسِّبْر اسمان للمصدر ، أما على رواية الفتح فهما مصدران ، وهو ما اختاره أبو عبيد هنا .

---

(١) ينظر : العين ٣ / ٢١٨ " باب الحاء والراء والباء معهما "

(٢) ينظر : الصحاح ٢ / ٦٢٠ " ح ب ر " .

(٣) ينظر : الفائق ١ / ٢٥١ .

(٤) ينظر : لسان العرب ٤ / ١٥٨ فصل الحاء المهملة " ح ب ر " .

(٥) ينظر : جمهرة اللغة ١ / ٢٧٥ " ح ب ر " .

(٦) ينظر : الزاهر ٢ / ٢٤١ .

(٧) ينظر : التكملة للصاغانى ٣ / ١٨ " س ب ر " .

(٨) ينظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ١ / ٣٢٧ .

تعليق واستنتاج

الذى أراه هنا موافقة أبى عبيد فى اختياره هنا لغة الفتح فى لفظتى " الحَبْر والسَّبْر" على أنهما مصدران لحَبَرتُهُ وسَبَرْتُهُ ، وذلك لما يلى :

أولاً : اعتبار المصدرية فيهما يقويه وجود فعل يجرى عليه مصدراهما ، وهو قولهم : حَبَرتُ الشَّيْء وحبَّرته : إذا زينته وحسنته ، ومنه قيل لطفيل الغنوى المُحَبِّر لتحسينه شعره(١) .

وأيضًا فإن المصدر هو الأصل واسم المصدر فرع عنه والحمل على الأصل أولى .

ثانيًا : أن المصدر يدل على الحدث باعتبار صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول ، بخلاف اسم المصدر فهو يدل على الحدث من حيث هو دون ملاحظة تعلقه بالمنسوب إليه(٢) ، وبتطبيق ذلك على الحديث نجد أن اعتبار المصدرية فيهما أدل على تصوير حال الرجل الخارج من النار وقد ذهب جماله وحسنه ، وأنه متلبس بذلك الحدث وهو ذهاب الجمال والهيئة ووقوعه به .

(١) ينظر : الزاهر فى معانى كلمات الناس للأنبارى ٢ / ٢٤١ .

(٢) ينظر : دراسات فى النحو لصلاح الدين الزعبلاوى ٦١٦ .

٤ ـ جَدٌّ ـ جَدْجَد

فِي حَدِيث : **فوردْنا على جُدْجُدٍ مُتَدَمِّنٍ** "[١]

قَالَ أبو عبيد : قَوْله : جُدْجُد ، وإنّما الْمَعْرُوف فِي كَلَامهم : الجُدُّ ، قَالَ الْأَعْشَى:

مَا جُعِل الجُدُّ الظّنونُ الّذِي ... جُنِّبَ صَوبَ اللّجِبِ الماطرِ[٢]

وَكَانَ الْأَصْمَعِي يَقُول : الجُدُّ الْبِئْر: الجَيِّدَةُ الْوَضع من الكلأِ [٣] .

الدراسة والتحليل

فى النص المتقدم ينكر أبو عبيد كون لفظ " الجُدجُد " بضم الجيمين وسكون الدالين بزنة فُعْلُل بمعنى البئر ، وأن المحفوظ عن العرب فى ذلك المعنى هو لفظ " الجُدُّ " بضم الجيم والدال ، واستشهد لهذا بقول الأعشى السابق .

والذى ذهب إليه أبو عبيد هنا ، هو ما عليه الجمهرة من اللغويين يقول الخليل: " والجُدُّ: البِئرُ تكون في موضع الكَلأ " [٤] ، ويقول ابن الأنبارى : "و"الجد":

---

(١) ينظر : إصلاح غلط أبى عبيد لابن قتيبة ١ / ٨٨ ، ومجمع بحار الأنوار ١ / ٣٢٦ ، وغريب الحديث لابن الجوزى ١ / ١٤٣ ، والنهاية ١/ ٢٤٤ ، والمتدمن : الماء الذى سقطت فيه دمن الإبل والغنم، وهى أبعارها .

(٢) البيت من السريع للأعشى فى ديوانه ص ١٤١ ، والجمهرة ١/ ٨٧ " ج دد " ، و الصحاح ٤٥٣/٢ ٤٥٣/٢ : باب الدال فصل الجيم ، المعجم المفصل ٣/ ٥٠٢ .

المفردات : الظنون : البئر قليلة الماء ، والذى جُنِّبَ : أى أُبعد وانفرد ، واللجب : السحاب ذو الرعد، والماطر الغزير المطر ، ومعنى البيت : ليست البئر القليلة الماء مثل البئر الكثيرة الماء .

(٣) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٤ / ٤٩٤ .

(٤) ينظر : العين ٦ / ١٠ .

"و"الجد": مذكر وهو : البئر الجيدة الموضع من الكلأ، والجمع: أجداد[١] ، وقال فى الزاهر: " والجُدُّ بضم الجيم : البئر القديمة الجيدة الموضع من الكلأ [٢]. وأنشد قول زهير :

أثــافيَّ سُــفْعاً فــي مُعَــرَّسِ مِرْجــلٍ ∴ ونُؤْيــاً كحــوضِ الجُــدِّ لــم يَتــثَلَّمِ[٣]

وقال القالى : " الجُدُّ : بضم الجيم وشدّ الدال مذكّر، البئر الجيدة الموضع من الكلأ [٤]. وأنشد للراعى :

حَتَّــى وَردَنَ لــتِمِ خَمْــس بــائص ∴ جُــدّا معــاوره الرِّيَــاح وَبــيلا[٥]

(١) ينظر : المذكر والمؤنث ١ / ٥٣٦ .

(٢) ينظر : الزاهر فى معانى كلمات الناس ١/ ٢٤ .

(٣) البيت من الطويل لزهير فى ديوانه ص ١٠٣، وتهذيب اللغة ٢ / ٦٦ باب العين والسين مع الفاء ، ولسان العرب ٨ / ١٥٥ باب العين فصل السين،والمعجم المفصل ٧ / ٤٠٠ .
المفردات : الأثافى : الحجارة التى يوضع عيها القدر ، وسفعا : سوداء من شدة النار ، والمعرس : موضع تعريس القوم وإقامتهم ، والمرجل : قدر من نحاس ، والنؤى : حاجز يرفع دون البيت لئلا يدخله الماء ، والجد : البئر ، لم يتثلم : يعنى لم ينكسر .

(٤) ينظر : البارع ١/ ٥٧٣ . باب الجيم والدال فى الثنائي .

(٥) البيت من الكامل للراعى فى ديوانه ص ٢٠٢، والمنتخب لكراع ١/ ٦١٩ ، والمذكر والمؤنث للأنبارى ١/ ٥٣٧ ، والمعجم المفصل ٦ / ١٣١ .
المفردات : وردن : أتين الماء يصف إبلا ، لتم خمس ، أى بعد تمام خمس ، والخمس : أحد أظماء الإبل وهو شوئبها اليوم الرابع من صدورها على الماء ، وخمس بائص : بعيد المطلب ، والجد : البئر الجيدة الموضع من الكلأ ، والوبيل : الوخيم .

ومن اللغويين من ذهب إلى أن الجُدَّ فى كلام العرب يأتى بمعنى البئر ، سواء كانت قليلة الماء أو كثيرته ، فهو حرف من الأضداد ، وروى هذا عن الإمام قطرب [١].

تعليق واستنتاج

الذى أراه أن هناك اضطرابًا من أبى عبيد فى تأويل هذا الحديث من جهة التفسير والاستشهاد لأمرين :

الأول : إنكار أبى عبيد مجيء لفظ " الجُدجُد بمعنى البئر" غير دقيق فيه ؛ ولا يسلم له، لأن هذا اللفظ بهذا المعنى ، قد جاء مرويًا عن أحد ثقاة أئمة اللغة وهو الإمام اليزيدى المتوفى ٣١٠هـ ، فرواه عنه ابن قتيبة فقال : بَلَغَنِي عن اليَزيدي، أنَّه قال: الجُدْجُد: البئر الكثيرة الماء. [٢] ، وكذا رواه الأزهرى حيث قال: "وروى غيرُه عَن اليزيديِّ أَنه قَالَ: الجُدْجُدُ: البئْرُ الكثيرةُ المَاء. ونَظِيرُه : الكُمْكُمَةُ للكُمَّةِ والرَّفْرَفُ للرَّفِّ "[٣]، ونقله أيضًا الهروى فى الغريبين[٤] .

وبناء على هذا فلا وجه لإنكار أبى عبيد له ؛ لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ .

الثانى : استشهاد أبى عبيد على مجيء لفظ " الجُدِّ " بمعنى البئر ببيت الأعشى غير مسلم به ، لأنه استشهد به على معنى الجُدّ للبئر الكثيرة الماء ، وهو في البيت شاهد على ضد هذا المعنى لأن بيت الأعشى له تتمة وهى قوله :

---

(١) ينظر : الأضداد للأنبارى ١ / ٢٠٦ .

(٢) ينظر : إصلاح غلط أبى عبيد ١/ ٨٨ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ١٠ / ٢٥٠ " باب الجيم والدال " .

(٤) ينظر : الغريبين ١ / ٣٢١ .

مـــا جُعَـــلَ الجُـــدَّ الظّنـــونَ الّـــذي ∴ جُنِّـــب صـــوبَ اللّجِـــبِ المـــاطرِ
مثـــلَ الفَـــرَاتِيِّ إذا مـــا جَـــرى ∴ يَقْـــذِفُ بالبُوصِـــيِّ والماهـــرِ[1]

وقد فسره الفارابى فقال أي: ما جَعَلَ البئْرَ القليلةَ الماءِ كالبئرِ الكثيرةِ الماء "[2] وتابعه على هذا التفسير ابن سيده فى المحكم [3] .

فالجد فى هذا البيت بمعنى البئر القليلة الماء ، كما يفهم من سياق البيت لا على ما فسر أبو عبيد .

٥ ـ عَسَى الغُوير أبْؤُسًا

فِي حَدِيث عمر . رَضِي الله عَنـهُ . **حِين قَالَ للرجل الَّذِي وَجَد مَنْبُوذاً فَأَتَاهُ بِهِ فَقَالَ عمر: عَسى الغُوَيرُ أبؤسا ، فَقَالَ عَرِيفه: يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ إنّـه وإنّـه ، فَـأثْنى عَلَيْـهِ خيرا فَقَالَ : هُوَ حر ووَلَاؤُهُ ذَلِك**[4] .

قال أبو عبيد : قَالَ الْأَصْمَعِي : قَوْلـه : عَسى الغوير أبؤسًا ، الأبؤس : جمع الْبَأْس: وأصل الأبؤس هَذَا : أَنه كَانَ غَار فِيهِ نَاس فانهار عَلَيْهِم ، أَو قَالَ : فَأَتَاهُم فِيهِ عَدو فَقَتَلُوهُمْ فَصَارَ مثلا لكل شَيْء يخَاف أَن يَأْتِي مِنْهُ شَرّ ، ثمَّ صُغِّر الْغَار فَقيل غُوير. وأخبرناه الْكَلْبِيّ بِغَيْر هَذَا قَالَ : الغوير : مَاء لكَلْب مَعْرُوف يُسمى

(١) الفُراتِيُّ: النَّهْرُ المتشعَّبُ من الفُراتِ . والبوصِيُّ : الزَّوْرَقُ . والماهِرُ السّابحُ. وجُنِّبَ، أي بُوعِدَ من مَطَرِ السَّحابِ الَّذي فيه رَعْدٌ. ينظر : ديوان الأدب ٣ / ٧٢ .

(٢) ينظر : ديوان الأدب ٣ / ٧٢ باب " فعول بفتح الفاء " .

(٣) ينظر : المحكم ٧ / ١٨٥ باب الجيم والدال " .

(٤) ينظر الحديث فى : صحيح البخارى باب إذا زكى رجل رجلا كفاه ٣ /١٧٦ ، والسنن الكبرى للبيهقى ٦ / ٣٣٢ .

الغُوَير ، وَأَحْسبهُ قَالَ : هُوَ نَاحيَة السماوة ، قَالَ : وَهَذَا الْمثل إِنَّمَا تكَلَّمت بِهِ الزباء .... قَالَ أَبُو عبيد : وَهَذَا القَوْل أشبه عِنْدِي صَوَابا من القَوْل الأول"[١] .

الدراسة والتحليل

أورد أبو عبيد من خلال نصه السابق خلافًا فى تفسير قول عمر ـ رضى الله عنه " ـ " عَسَى الغُوَيرُ أبؤسًا " ونقل في تفسير هذا القول رأيين أحدهما عن الأصمعى ، والأخر عن ابن الكلبى ، مرجحًا تفسير ابن الكلبى ومصوبا إياه .

وقبل الدخول فى تفسير الأقوال التى وردت هنا أقول : أصل قول عمر ـ رضى الله عنه ـ فى هذا الحديث مأخوذ من قول العرب فى مَثَلٍ لهم " عَسَى الغُويرُ أبؤسًا : وهو مَثَلٌ قَدِيمٌ يُقَالُ عِنْدَ التُّهْمَة [٢] ، ويُضْرَبُ لِكُلِّ مَا يُخَافُ أَنْ يَأْتِي مِنْهُ شَرٌّ ، وقد تمثل به عمر ـ رضى الله عنه ـ هنا وقد جاءه رجلٌ بطفل لقيط منبوذ فاتهمه به، حتى عرفه صاحبه فلم يتهمه[٣] .

وقد اختلف فى أصل هذا المثل وتفسيره وقائله على أقوال على النحو التالى:

الأول : ويعزى للأصمعى[٤] أن أصل هذا المثل : أَنه كَانَ غَار فِيهِ نَاس فانهار عَلَيْهِم أَو قَالَ : فَأَتَاهُم فِيهِ عَدو فَقَتَلُوهُمْ فَصَارَ مثلا لكل شَيْء يخَاف أَن يَأْتِي مِنْهُ

(١) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٣ / ٣١٩ وما بعدها .

(٢) ينظر : الأمثال لأبى عبيد ١/ ٣٠٠ ، وجمهرة الأمثال للعسكرى ٢ / ٥٠ ، ومجمع الأمثال للميدانى ٢ / ٥٠ ، و النهاية لابن الأثير ٣/ ٣٩٤ .

(٣) ينظر : النظم المستعذب فى تفسير غريب ألفاظ المهذب لابن بطال ٢ / ٨٠ .

(٤) عزى له فى تهذيب اللغة ٨ / ١٦١ ، و الغريبين للهروى ٤ / ١٣٩٨ .

شَرّ ، وعلى هذا التفسير يكون لفظ " الغوير فيه مصغر " غار " والأبؤس : جمع بأس بمعنى العذاب، أو بؤس بمعنى الشدّة.

الثانى : ما ذكره أبو عبيد عن ابن الكلبى[١] من أن لفظ " الغوير " يطلق على ماء لبنى كلب بن وبرة بناحية السماوة معروف ، وأن قائلته الزباء [٢] وذَلِكَ أَنَّهَا لما وجّهتْ قَصيرًا اللَّخْمي بالعِير ليحمل لَهَا من برّ الْعرَاق وألطافه ، وَكَانَ يطْلبهَا بذحل جَذيمة الأبرش ، فَجعل الْأَحْمَال صناديق وَقد قيل غَرَائِر ، وَجعل فِي كل وَاحِد مِنْهَا رجلا مَعَه السِّلَاح ، ثمَّ تنكّب بهم الطَّرِيق المَنْهَجَ وَأخذ على الغوَير فسالتْ عَن خَبره فَأخْبرت بذلك فَقَالَت: عَسى الغوير أبؤسا ، تَقول: عَسى أَن يَأْتِي ذَلِك – الطَّرِيق بشرّ .

الثالث : وبه قال ابن قتيبة : إن أول من قاله " بَيْهَس " الذي يلقب بالنّعامة في حمقه[٣] ، وكان قد وجد قاتلي إخوته في غار فهجم عليهم في ذلك الغار فقتلهم ،

---

(١) وافق ابن الكلبى فيما ذهب إليه هنا ابن دريد فى الجمهرة ٢ / ٧٨٣ ، والمدينى فى المجموع المغيث ١ / ١٢٣ ، والنويرى فى نهاية الأرب ٣ / ٤٠

(٢) الزباء : هى بنت عمرو بن ظرب العملقي ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف بلاد الشام اقتتل هو وجذيمة الابرش أول من استجمع له الملك بأرض العراق، فقتله جذيمة ، فأرادت الزباء الثأر لأبيها فمكرت بجذيمة فقتلته ،فأراد ابن أخته عمرو بن عدى الانتقام لخاله فبعث قصيرا صاحب جذيمة ، فخدعها ، وزعم أنه فر إليها، ، وأقام في خدمتها مدة يتجر لها حتى فعل ما فعل . ينظر تاريخ الطبرى ١ / ٦١٧ وما بعدها ، وتلخيص الشواهد لابن هشام الأنصارى ١/ ٣١٠ .

(٣) بيهس : هو رجل من بني فزارة بن ذبيان ، وكان يلقب بنعامة لحمقه ، وكانت بين أهل بيته وقومه من أشجع حرب، فقتلوا سبعة أخوة له، وأسروه ، ولم يقتلوه لصغره فارتحلوا به .. ثم إنّه أفلت أو خلوا سبيله . ثم جعل يتتبع قتلة إخوته حتى أخبر أن ناسا من أشجع في غار

فهو أحد من طلب بثأر فلحقه[١]

الرابع : ونقله القاضى عياض فقال : وَقيل الغوير : طَرِيق قوم من الْعَرَب يغيرون مِنْهُ ، فَكَانَ غَيرهم يتواصون بحراسته لَيْلًا يَأْتِيهم مِنْهُ بَأْس[٢] .

تعليق واستنتاج

الذى يترجح لى مما تقدم عرضه من أقوال فى تفسير لفظة " الغوير " فى المثل هو ما ذهب إليه الأصمعى لا ما اختاره أبو عبيد من قول ابن الكلبى وذلك لعدة وجوه :

أولاً : أن الرواية القائلة بأن أصل المثل من قول الزباء، فليست صحيحة ؛ لأن أقدم نص لقصة الزباء هذه موجود في كتاب المفضل الضبى المتوفى نحو ١٦٨هـ ، وقد خلت قصتها فيه من هذا المثل[٣] على الإطلاق ، وكذلك لم يورده المفضل الضبى فى كتاب الفاخر القائم على تناول ما يجرى على ألسن الناس وما يدور فى كلامهم وما يجرى فى محواراتهم من أمثال [٤] ، على الرغم من كثرة ما ورد في قصتها من أمثال فى الكتابين .

يشربون فيه، فانطلق بخال له يكنى أبا حشر ، حتى إذا قام على باب الغار دفع أبا حشر خاله في الغار ثم دخل عليهم فقتلهم . ينظر : أمثال العرب للمفضل ١ / ٧٢ ، والأمثال لأبى عبيد ١ / ١٣٩

(١) ينظر : تأويل مشكل القرآن ١ / ٣٠٥ .

(٢) ينظر : مشارق الأنوار ٢ / ١٤٠ .

(٣) ينظر : أمثال العرب للمفضل ١ / ١٤٣ ، وقصة الأدب فى الحجاز لمحمد عبد المنعم خفاجى ١ / ٢٨٤ .

(٤) ينظر : الفاخر للمفضل مقدمة المحقق ص : هـ

ثانياً : لم يرد هذا المثل أيضًا فى قصة الزباء لدى علماء الأنساب والتاريخ رغم استقصائهم لقصتها كاملة ، فالإمام الطبرى مثلا المتوفى ٢١٠هـ معروف بنقله الكثير من الروايات عن ابن الكلبى[١] لم يورد هذا المثل فى قصة الزباء على الإطلاق[٢] ، وكذلك أورد ابن قتيبة[٣] ، وابن خرداذبة [٤] وابن طاهر المقدسى[٥] والبكرى[٦] وابن الجوزى[٧] وغيرهم من أصحاب التاريخ والتراجم قصة الزباء دون ذكر لهذا المثل فى قصتها .

ثالثاً : أن كثيرًا ممن ذكر أصل المثل برواية ابن الكلبى نراه يذكره وينقله بصيغة التمريض فيقول " وقيل : إن أول من قالته الزباء " ممايدل على عدم ثقتهم فى هذا الكلام .

رابعًا : أن تأصيل الأصمعى للمثل ارتضاه ووافقه عليه كثير من العلماء كالعسكرى[٨] والهاشمى[١] والقالى[٢] والزمخشرى[٣] ، ولذا قال البغدادى فى خزانته :

---

(١) يقول محقق كتاب جمهرة النسب لابن الكلبى ص ٧ : " فالطبرى والبلاذرى والمسعودى وأضرابهم يعتمدون عليه وينقلون عنه ، وحسبك أن كتابا كتاريخ الرسل والملوك للطبرى لا يلتقط أخبار ابن الكلبى ورواياته فحسب، بل إن تاريخ العرب قبل الإسلام فيه أكثره من أقوال ابن الكلبى وفى الأخص القسم العراقى منه حيث ينفرد ابن الكلبى بالرواية " .

(٢) ينظر : تاريخ الرسل والملوك ١ / ٦١٨ وما بعدها .

(٣) ينظر : المعارف ١/ ٦٤٥ .

(٤) ينظر : المسالك والممالك ١ / ١٢٩ .

(٥) ينظر : البدء والتاريخ ٣/ ١٩٩ .

(٦) ينظر : المسالك والممالك للبكرى ١ /٣٥٦ .

(٧) ينظر : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ٢/ ٥٥ وما بعدها .

(٨) ينظر : جمهرة الأمثال ٢/ ٥١ .

خزانته : " وَوهم ابْن الخباز فِي أصل الْمثل فَقَالَ : قالته الزباء حِين ألجأها قصير إِلَى غارها . وَفِي الصِّحَاح : قَالَ الْأَصْمَعِي: أَصله أَنه كَانَ غَار فِيهِ نَاس فانهار عَلَيْهِم أَو أَتَاهُم فِيهِ عَدو فَقَتلهُمْ فَصَارَ مثلا لكل شَيْء يخَاف أَن يَأْتِي مِنْهُ شَرّ ، قلت : وَتَكون الزباء تَكَلَّمت بِهِ تمثلاً. وَهَذَا حسن ؛ لِأَن الزباء فِيمَا زَعَمُوا رُومِية فَكيف يحْتَج بكلامها" (٤) ، وهذا كله يؤكد عدم صحة ما نقله أبو عبيد عن ابن الكلبى فى تفسيره للمثل وتأصيله .

٦ ـ غرار

فِي حَدِيث النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام: **لَا غرار فِي صَلَاة وَلَا تَسْلِيم** "(٥)

قَالَ أبو عبيد: الغِرار: هُوَ النُّقْصَان .....قال : فَكَأَن معنى الحَدِيث : لَا نُقْصَان فِي صَلَاة ، يَعْنِي فِي ركوعها وسجودها وطهورها ... قال أبو عبيد : وقد رُوِيَ عَن بعض الْمُحدثين هَذَا الحَدِيث : " لَا إغرار فِي صَلَاة " بِأَلف ، وَلَا أعرف هَذَا فِي الْكَلَام وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي وَجه ، وَيُقَال: لَا غِرار فِي صَلَاة وَلَا تَسْلِيم أَي: لَا نُقْصَان فِيهَا وَلَا تَسْلِيم فِيهَا ، فَمن قَالَ هَذَا ذهب إِلَى أَنه لَا قَلِيل من النّوم فِي الصَّلَاة ، وَلَا تَسْلِيم فِي الصَّلَاة أَي إِن الْمُصَلِّي لَا يسلَم وَلَا يسلم عَلَيْهِ (٦).

---

(١) ينظر : الأمثال للهاشمى ١/ ١٧١ .

(٢) ينظر : أمالى القالى ١ / ٦٠ .

(٣) ينظر : المستقصى فى أمثال العرب ٢/ ١٦١ .

(٤) ينظر : خزانة الأدب ٩ / ٣٢٠ .

(٥) الحديث فى مسند أحمد ١٦ / ٢٧ ، وغريب أبى عبيد ٢ / ١٢٨ ، والتمهيد لابن عبد البر ٥ / ٤٠ .

(٦) ينظر : قوله فى غريب الحديث ٢ / ١٢٨ ـ ١٣٠ .

الدراسة والتحليل

قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق " لا غرار فى صلاة ولا تسليم روى بروايتين :

الأولى : غِرَار بزنة فعال مكسور الفاء ، وهى اختيار أبى عبيد ،

والثانية : إِغْرَار بزنة إفعال بزيادة الألف . ولكل معنى .

فأما الرواية الأولى : لا غرار " فمعناها : النقص ، مأخوذة من قول العرب للناقة إذا نقص لبنها " هى مغارٌ " ، وبالرجوع للمادة اللغوية لهذه اللفظة نجدها تدل فى أصل معناها على النقصان والقلة ، يقول الأزهرى : " يقالُ : غَرّ فلانٌ فلَانا : معناهُ : نَقَصَهُ ، من الغِرارِ، وَهُوَ النُّقْصانُ[١].

ويقول ابن فارس : " الْغَيْنُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ صَحِيحَةٌ: الْأَوَّلُ الْمِثَالُ، وَالثَّانِي النُّقْصَانُ، وَالثَّالِثُ الْعِتْقُ وَالْبَيَاضُ وَالْكَرَمُ..... وَأَمَّا النُّقْصَانُ فَيُقَالُ : غَارَّتِ النَّاقَةُ تُغَارُّ غِرَارًا، إِذَا نَقَصَ لَبَنُهَا.... ومِنْهُ الْغِرَارُ : وَهُوَ النَّوْمُ الْقَلِيلُ[٢] وفى اللسان : " ويقال : َ مَا أَقمت عِنْدَهُ إِلَّا غِراراً أَي قَلِيلًا [٣].وبناء على هذا فقد فسر أبو عبيد قوله " لا غِرارَ فى صلاة " بأنه لا نقص فيها يعنى فى ركوعها وسجودها وطهورها بل يجب تأديتها كاملة غير منقوصة .

(١) ينظر : تهذيب اللغة ٨ / ١٧ باب الغين والراء .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ٤ / ٣٨١ " غ ر " .

(٣) ينظر : لسان العرب ٥ / ١٧ .

هذا وقد فسر غير أبى عبيد قوله " لا غرار فى صلاة " أن معناه : أن لَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ عَلَى الْيَقِينِ وَالْكَمَالِ ، وعزى هذا القول للإمام أحمد(١) .

أما الغرار فى التسليم قد سر بالنقصان فيه أيضًا ، وكيفيته أن يقول المصلى عند السلام من الصلاة : عليك ، أو يجاب بهذا دون قوله السلام عليكم ، وهو ما وضحه الخطابى بقوله : " فمعنى قوله: "لا غرار"، أي: لا نقصان في التسليم، ومعناه : أن تَرُد كما يُسلمُ عليك وافياً لا نقصى فيه، مثل أن يقال: السلام عليكم ورحمة الله، فيقول : وعليكم السلامُ ورحمة الله، ولا يقتصر على أن يقول : السلامُ عليكم، أو عليكم حسب ، ولا ترد التحية كما سمعتَها من صاحبك ، فتبخسه حقه من جواب الكلمة (٢).

وأما الرواية الثانية : " لا إغرار فى صلاة ولا تسليم " فقد فسره بأن معناه لا قليل من النوم فى الصلاة ، ولا تسليم فيها ، فهو " إفعال من الغِرار أيضًا بمعنى النَّوْمُ الْقَلِيلُ (٣) قال الأصمعى : " غِرارُ النَّوْمِ : قلّتُه "(٤) ، وعليه جاء قول الشاعر: الشاعر:

(١) ينظر : مسند أحمد ١٦ / ٢٩ ، ومعالم السنن ١ / ٢١٩ ، والسنن الكبرى للبيهقى ٢/ ٣٦٩ .

(٢) ينظر : معالم السنن ١ / ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ٤ / ٣٨١ " غ ر " .

(٤) ينظر : لسان العرب ٥ / ١٧ باب الراء صل الغين .

إِنَّ الرَّزِيَّــةَ مِــنْ ثَقِيــفٍ هَالِــكٌ ∴ تَــرَكَ الْعُيُــونَ فَنَــوْمُهُنَّ غِــرَارُ[1]

وروى هـذا عـن أحمـد بـن حنبـل أيضًـا ، ففـى سـنن أبـى داوود " قـال أحمد: يعني- فيما أُرى- أن لا تُسلمَ ولا يُسلَّمَ عليك "[2].

تعليق واستنتاج

مما تقدم عرضه من أقوال فى تسير لفظة " غرار فى الحديث ، أرى موافقة أبى عبيد فى روايته وتفسيره ، ومما يقوى اختياره هنا أمران :

الأول : تفسيره الغرار فـى الصـلاة والتسـليم بـالنقص فيهمـا يقويـه مـا جـاء فـى حـديث سَـلْمان رضـى الله عنـه : " الصَّـلَاةُ مِكْيَـالٌ ، فَمَـنْ وَفَّـى وُفِّـيَ لَـهُ ، وَمَـنْ طَفّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا قَالَ اللَّهُ فِي المُطَفِّفِين " [3].

والثانى : رواية من روى هذا الحديث " لا إغرار " بـالألف وجد من ينقضـها ففى مسند أحمد قال : " حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : سَأَلْتُ أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا إِغْرَارَ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ : " إِنَّمَا هُوَ لَا غِرَارَ فِي الصَّلَاةِ "[4].

---

(١) البيت من البسيط للفرزدق في ديوانه يرثى الحجاج بن يوسف الثقفى ص ٢٥٨ ، وينظر البيت فى : تهذيب اللغة ٨ / ١٨ ، باب الغين والراء ، ولسان العرب ٥ / ١٧ باب الراء فصل الغين . والرزية : المصيبة ، والعيون : جمع عين وهى الباصرة .

(٢) ينظر : سنن أبى داوود ٢ / ١٩٠ .

(٣) ينظر الحديث فى : مصنف عبد الرزاق ٢ / ٣٧٢ ، ومصنف ابن أبى شيبة ١ / ٢٥٩ ، تهذيب اللغة ٨ / ١٨ ، باب الغين والراء ، والفائق ٣ / ٥٩ ، ولسان العرب ٥ / ١٧ باب الراء صل الغين .

(٤) ينظر : مسند أحمد ١٦ / ٢٩ .

وقال الحسن العسكرى :" وَمِمَّا يقعُ فِيهِ زِيَادَة فأَحال الْمَعْنى لَا إِغرارَ فِي صلاةٍ وَلَا تسليمٍ بِزِيَادَة أَلِف وإنما هِيَ لَا غِرَارَ "(١)

(١) ينظر : تصحيفات المحدثين ١/ ٣٢٠ .

المبحث الثانى
فى دلالة المفردات اللغوية

تمهيد :

كثيرًا ما يكون الخلاف بين أبى عبيد وغيره من شراح الحديث مرجعه الاختلاف فى تحديد دلالة المفردة اللغوية التى يتعرضون لتفسيرها وبيان معناها .

والمفردة فى اللغة : من الجذر اللغوى " فرد " الذى يدور معناه حول : الوحدة كما ذكر ابن فارس(١) ويعنى بها : الوحدة اللغوية التى تمثل عنصرًا من عناصر التركيب الكلامى والتى تحمل معنى ما " .

وعلم المفردات كما يقول الراغب : من العلوم اللغوية اللفظية حيث يقول: " ومن العلوم اللفظية : تحقيق الألفاظ المفردة ، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه ، كتحصيل اللّبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه ، وليس ذلك نافعًا في علم القرآن فقط ، بل هو نافع في كلّ علم من علوم الشرع "(٢)

وفيما يلى دراسة لاختيار أبى عبيد مما اختلف فى دلالته ومعناه من ألفاظ الحديث النبوى :

(١) ينظر : مقاييس اللغة ٤ / ٥٠٠ " ف ر د " .

(٢) ينظر : المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ١ / ٥٤ .

١ ـ فِي حَدِيثه عَلَيْهِ السَّلَام " أنه نهي عَن الإقعاء فِي الصَّلَاة" [١]

قال أبو عبيد : قَالَ أَبُو عُبَيْدَة : الإقعاءُ : جُلُوسُ الرجلِ على أليتيه ناصبًا فَخذيهِ مثل إقعاء الْكَلْب والسبع ، قَالَ أَبُو عبيد: وَأما تَفْسِير أَصْحَاب الحَدِيث : فَإِنَّهُم يجْعَلُونَ الإقعاء : أَن يضع أليتيه على عَقِبَيْهِ بَين السَّجْدَتَيْنِ ... قَالَ أَبُو عبيد: وَتَفْسِير أبي عُبَيْدَة فِي الإقعاء أشبه بالمعني ، لِأَن الْكَلْب إِنَّمَا يقعي كَمَا قَالَ . وَقد رُوِيَ عَن النَّبِيّ صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم إِنَّه أكل مقعيًا فَهَذَا يبين لَك أَن الإقعاء هُوَ هَذَا وَعَلِيهِ تَأْوِيل كَلَام الْعَرَب[٢].

الدراسة والتحليل

الحديث فى بيان النهى عن الإقعاء فى الصلاة ، ويفهم من نص أبى عبيد فيه أن هناك اختلافا فى تفسير صفة الإقعاء المنهى عنه بين المُحَدِّثِين والفقهاء من جهة ، وبين اللغويين من جهة أخرى .

فقد فسر المُحَدِّثُونَ والفقهاء الإقعاء : بأنه وضع الأليتين على عقبيه بين السجدتين ، أما اللغويون فقد نقل أبو عبيد عن أبى عبيدة تفسيره الإقعاء بأنه : جلوس الرجل على أليتيه ناصبًا فخذيه مثل إقعاء الكلب والسبع ، مرجحًا تفسير اللغويين لصفة الإقعاء الواردة فى الحديث .

والحق أن العلماء مختلفون فى تحديد صفة الإقعاء ،ولبيان ذلك أقول : الإقعاء فى اللغة : مصدر أقعَى يُقعي إقعاءً ، وقد فسره الخليل بقوله :" وقد يقعي الرّجل في جلوسه كأنّه مُتَساندٌ إلى ظهْرِه ، والذّئب يُقعي، والكلب يقعي. إقعاء مثله

(١) ينظر الحديث فى : مصنف ابن أبى شيبة ١/ ٢٥٥ ، و غريب الحديث لأبى عبيد ١٠٨/٢ والفائق ٣/ ٢١٢ ، وغريب الحديث لابن الجوزى ٢ / ١١١ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٢ / ١٠٨ ، ١٠٩ .

سواء "[١] ، وقال ابن دريد : " وَهُوَ أَن يقْعد على عقِبَيه منتصباً "[٢] ، وقال ابن الأثير : " الإِقْعاء: أَنْ يُلْصِقَ الرجُل أَلْيَتَيه بِالْأَرْضِ، ويَنْصِب ساقَيه وفَخِذَيه، ويَضَع يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا يُقْعِي الكلْب ." [٣] وفى التاج : "وأَقْعَى الرَّجلُ فِي جُلوسِه : أَلْصَقَ أَلْيَتَيْه بالأَرضِ ونَصَبَ ساقَيْه و تَسانَدَ إِلَى مَا وَراءَهُ ، هَذَا قولُ أَهْلِ اللُّغَةِ "[٤].

فمفهوم اللغوين لصفة الإقعاء هى تلك الجلسة المعينة التى يجلسها الرجل والتى تكون بإلصاق الأليتين بالعقبين مع نصب الساقين ومد اليدين على الأرض كما يشاهد من صورة جلوس الكلب .

وقد فسر الفقهاء الإقعاء بغير هذه الصفة المتقدمة فقال الميورقى : " وَتَفْسِير الْفُقَهَاء : هُوَ أَن يضع إليتيه على عَقِبَيْهِ بَين السَّجْدَتَيْنِ [٥]" وقال البعلى: " وهو أن يضع أليتيه على عقيبه بين السجدتين " [٦]

هذا تفسير الفقهاء "وقد جاءت بعض الآثار المبيحة لهذه الصفة على تفسير الفقهاء بل جعلها بعضهم من السنة ، فروى ابن عبد البر القرطبى عن الْأَعْمَشُ عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ قال : رأيت العبادلة يقعون في الصلاة بن عباس وبن عمر وبن الزبير " [٧] ، وروى البيهقى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : " مِنْ سُنَّةِ الصَّلَاةِ أَنْ تَمَسَّ

(١) ينظر : العين ٢ / ١٧٦ باب العين والقاف وواى معهما .
(٢) ينظر : جمهرة اللغة ٢ / ١٠٨٠ باب العين فى المعتل وما تشعب منه .
(٣) ينظر : النهاية ٤ / ٨٩ .
(٤) ينظر : تاج العروس ٣٩ / ٣٢٤ باب الواو والياء فصل القاف .
(٥) ينظر : تفسير غريب ما فى الصحيحين ١/ ١٧٢ .
(٦) ينظر : المطلع على ألفاظ المقنع ١ / ١٠٧ .
(٧) ينظر : الاستذكار ١ / ٤٨١ .

إِلْيَتَاكَ عَقِبَيْكَ" زَادَ فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْعَدَنِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ: " بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ " وروى عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : حَدَّثَنِي عَنِ انْتِصَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَصُدُورِ قَدَمَيْهِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ إِذَا صَلَّى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ الْمَكِّيُّ ، عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ أَبِي الْحَجَّاجِ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ يَذْكُرُهُ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ: " وَاللهِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ هَذَا جَفَاءً مِمَّنْ صَنَعَهُ قَالَ: فَقَالَ: " إِنَّهَا السُّنَّةُ [1] ".

ومن الممكن الخروج من هذا الاختلاف بما ذكره الإمام النووى حيث قال : " والصواب الذي لا معدل عنه أن الإقعاء نوعان : أحدهما: أن يلصق أليته بالأرض ، وينصب ساقيه، ويضع يديه على الأرض كإقعاء الكلب ... وهذا النوع هو المكروه الذي ورد فيه النهي ، والنوع الثاني : أن يجعل أليته على عقبيه بين السجدتين، وهذا هو مُرَادُ ابن عباس بقوله: (سنَة نبيكم- عليه السلام) "[2].

تعليق واستنتاج

بناء على ما تقدم أرى أن اختيار أبى عبيد لتفسير الإقعاء المنهى عنه فى الحديث هو الصواب ، أما الإقعاء على ما فسر الفقهاء من وضع الأليتين على العقبين بين السجدتين ، فهو غير الإقعاء الوارد النهى عنه فى الحديث ، ولذا قال القاضى عياض:"والأشبه عندى فى تأويل الإقعاء الذى قال ابن عباس: إنه من السنة الذى فسر به الفقهاء من وضع الأليتين بين السجدتين على العقبين وليس بالمنهى عنه "[3]

(١) ينظر : السنن الكبرى ٢ / ١٧١ .

(٢) ينظر : شرح النووى على صحيح مسلم ٥ / ١٩ .

(٣) ينظر : إكمال المعلم للقاضى عياض ٢/ ٤٥٩ .

٢ ـ فِي حَدِيث النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام: قَلِّدوا الخيلَ وَلَا تقلدوها الأوتار[١].

قال أبو عبيد : فَمَعْنَى الأوتار هَهُنَا : الذحول ، يَقُول: لَا يطْلبُونَ عَلَيْهَا الذحول الَّتِي وتروا بهَا فِي الْجَاهِلِيَّة . قَالَ أَبُو عبيد: هَذَا معنى يذهب إِلَيْهِ بعض النَّاس : أَن النَّبِيّ صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم أَرَادَ لَا تَطْلُبُوا عَلَيْهَا الذحول ، وَغير هَذَا الْوَجْه أشبه عِنْدِي بِالصَّوَابِ ، قَالَ: سَمِعت مُحَمَّد بْن الْحَسَن يَقُول: إِنَّمَا مَعْنَاهَا أوتار القسي ، وَكَانُوا يقلدونها تِلْكَ فتختنق يُقَال: لَا تقلدوها بهَا "[٢]

الدراسة والتحليل

الحديث فى بيان فضل الخيل ، وهو مِمَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي مُرَادِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه ، حيث اختلف فى تفسير قوله : ولا تقلدوها الأوتار على معنيين :

الأول : ويعزى للنضر بن شميل ، وإلى نحو قوله جنح وكيع بن الجراح[٣] أن المعنى : لا تطلبوا عليها الأوتار والذحول ، كما كان يفعل أهل الجاهلية .

وقيل معناه : لَا تَرْكَبُوا الْخَيْلَ فِي الْفِتَنِ ، فَإِنَّ مَنْ رَكِبَهَا لَمْ يَسْلَمْ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ وَتَرٌ يُطْلَبُ بِهِ إِنْ قَتَلَ أَحَدًا عَلَى فَرَسِهِ فِي مَخْرَجِهِ فِي الْفِتْنَةِ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي خُرُوجِهِ ذَلِكَ ظَالِمٌ "[١]

---

(١) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٢ / ١ ، ومصنف ابن أبى شيبة ٦ / ٥٢١ .وسنن أبى داوود ٤ / ٢٠٤ ، وشرح مشكل الآثار ٧ / ١٤٦ .

(٢) ينظر : غريب الحديث ٢ / ١ .

(٣) هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤواسى الإمام الحافظ الثبت المحدث ، ولد بالكوفة ، قال عنه الإمام أحمد " وكيع إمام المسلمين . ينظر ترجمته فى ميزان الاعتدال ٤ / ٣٣٥ ، ومعجم المفسرين ٢ / ٧٠٢ .

وعلى هذا التفسير تكون لفظة " الأوتار " فى الحديث جمعًا لوِتْر بكسر الواو وتفتح وسكون التاء : بمعنى الذَّحل والثأر. وَقيل : طلب مُكَافَأَة بِجِنَايَة جُنيت عَلَيْك، أَو عَدَاوَة أتيت إِلَيْك ، وَقيل : الذحل : هُوَ الْعَدَاوَة والحقد [٢] . يقال منه : وترت الرجل : إِذَا قتلت لَهُ قتيلًا ، أَوْ أخذت لَهُ مالًا فقد وترته [٣]، قال الجوهرى : الوِتْرُ بالكسر: الفَرد ، والوَتْرُ بالفتح: الذَحْلُ[٤] .

والثانى : وهو ما اختاره أبو عبيد أن المعنى : لا تقلدوا الخيل أوتار القسى لئلا تختنق بها ، وعلى هذا التفسير فلفظة " الأوتار " فى الحديث جمع لوَتَر بالتحريك وهو وتر القوس ، قال فى المصباح : " الْوَتَرُ لِلْقَوْسِ جَمْعُهُ : أَوْتَارٌ مِثْلُ سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ ، وَ أَوْتَرْتُ الْقَوْسَ بِالْأَلِفِ : شَدَدْتُ "[٥] وقال ابن منظور : الوَتَرُ : شِرْعَةُ القوس ومُعَلَّقُهَا "[٦] .

وقد احتج أبو عبيد لرأيه هذا بما ورد فى الحديث عن "جابر" أن النبي – صلى الله عليه وسلم–: "أمر أن تقطع الأوتارُ من أعناق الخيل"[٧].

---

(١) ينظر : التمهيد لما فى الموطأ من الأسانيد لابن عبد البر ١٧ / ١٦٥ ، وفتح البارى ١٤٢/٦ .

(٢) ينظر : المحكم ٣ / ٢٨٩ " الحاء والذال واللام " " ذ ح ل " .

(٣) ينظر : معانى القرآن للفراء ٣ / ٦٤ .

(٤) ينظر : الصحاح ٢ / ٨٤٢ .

(٥) ينظر : جمهرة اللغة ١ / ٣٩٥ ، والمصباح المنير ٢ / ٦٧٤ .

(٦) ينظر : لسان العرب ٥ / ٢٧٨ .

(٧) ينظر الحديث فى الفائق ٤/ ٤٠ ، والنهاية ٥ / ١٤٩ .

وقد اختلف فى علة النهى عن تقليد الخيل بأوتار القسى فى هذا الحديث فقيل : العلة فى النهى : الخوف عليها من الاختناق ؛ لِأَنَّ الْخَيْلَ رُبَّمَا رَعَتِ الْأَشْجَارَ، أَوْ حَكَّتْ بِهَا عُنُقَهَا، فَيَتَشَبَّثُ الْأَوْتَارُ بِبَعْضِ شِعْبِهَا فَيَخْنُقُهَا وعزى هذا القول إلى محمد بن الحسن الفقيه صاحب أبى حنيفة(١)

وَقِيلَ : إِنَّمَا نَهَاهُمْ عَنْهَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تَقْلِيدَ الْخَيْلِ بِالْأَوْتَارِ يَدْفَعُ عَنْهَا الْعَيْنَ وَالْأَذَى فَتَكُونَ كَالْمُعَوِّذَةِ لَهَا فَنَهَاهُمْ عَنْهَا، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهَا لَا تَدْفَعُ ضَرًّا وَلَا تَصْرِفُ حَذَرًا وإليه ذهب الإمام مالك(٢).

وقيل أَنه أَمر بقطعها لأَنهم كَانُوا يعلقون فِيهَا الْأَجْرَاس، حَكَاهُ أَبُو سُلَيْمَان الْخطابِيّ(٣).

وقد أيد الطحاوى ما ذهب إليه أبو عبيد هنا فقال : " فَتَأَمَّلْنَا حَدِيثَ جَابِرٍ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ فَوَجَدْنَا فِيهِ أَمْرَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَقْلِيدِ الْخَيْلِ بِقَوْلِهِ : " وَقَلِّدُوهَا " فَكَانَ ذَلِكَ مَعْقُولًا أَنَّهُ أَرَادَ التَّقْلِيدَ الَّذِي يَفْعَلُهُ النَّاسُ ، وَهُوَ تَقْلِيدُ الْخَيْلِ فِي أَعْنَاقِهَا ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : " وَلَا تُقَلِّدُوهَا الْأَوْتَارَ " فَانْتَفَى بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ التِّرَاتَ وَثَبَتَ بِهِ أَنَّ مَا يُقَلِّدُهُ فِي أَعْنَاقِهَا مِمَّا أُمِرَ بِتَقْلِيدِهَا إِيَّاهُ هُوَ مَا لَا يُخَافُ عَلَيْهَا مِنْهُ كَمَا يُخَافُ عَلَيْهَا مِنَ الْأَوْتَارِ إِذَا قُلِّدَ بِهَا "(٤)

تعليق واستنتاج

(١) ينظر : كشف المشكل لابن الجوزى ٢ / ٢٣٢ ، ومشارق الأنوار ٢ / ٢٧٨ .

(٢) ينظر : مرقاة المفاتيح ٦ / ٢٥٠٧ .

(٣) ينظر : معالم السنن للخطابى ٢ / ٢٤٩ ، وغريب الحديث لابن الجوزى ٤٥٢/٢ .

(٤) شرح مشكل الآثار ١ / ٢٩٦ .

الذى أراه أنه ليس هناك ما يمنع من حمل دلالة الحديث ومعناه على ما فسره النضر ووكيع بن الجراح من أن المراد من النهى عن تقليد الخيل الأوتار هو النهى عن ركوبها لطلب الذحل والتارات ؛ لأن المعنى يحتمله من وجوه على النحو التالى :

الأول : أن أَهْل الجاهلية إذا طلبوا بالأوتار والذحول " وهى التارات " قلدوا خَيْلَهُمْ الْأَوْتَارَ يَدُلُّونَ بِهَا عَلَى أَنَّهُمْ طَالِبُونَ بِالْأَوْتَارِ مُجْتَهِدُونَ فِي قَتْلِ مَنْ يَطْلُبُونَهُمْ بِهَا ، فأبطل النبي صلّى اللَّه عليه وآله وسلم الطلب بذحول الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: "أَلَا إِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَأْثَرَةٍ فَهُوَ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُهُ دَمُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ"(١).

الثانى : أن يكون معناه النهى عن ركوب الخيل فِي الْفِتَنِ ، فَإِنَّ مَنْ رَكِبَهَا لَمْ يَسْلَمْ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ وَتَرٌ يُطْلَبُ بِهِ إِنْ قَتَلَ أَحَدًا عَلَى فَرَسِهِ فِي مَخْرَجِهِ فِي الْفِتْنَةِ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي خُرُوجِهِ ذَلِكَ ظَالِمٌ "(٢)، وإنما ينبغى ركوبها فى سبيل إعلاء كلمة الله فى الجهاد .

الثالث : معنى الحديث على ما فسره النضر ووكيع ، وجد من العلماء من يقول به بل يرجحه ، فقد رجحه الهروى فقال : " وفي الحديث: " قلدوا الخيل ولا تقلدوها الأوتار" فيه قولان : أحدهما : لا تطلبوا عليها الذحول ، والآخر: لا تقلدوها الأوتار فتختنق ، والقول هو الأول(٣).

(١) ينظر : أحكام القرآن للجصاص ٤ / ٢٥٤ .

(٢) ينظر : التمهيد لابن عبد البر ١٧ / ١٦٥ .

(٣) ينظر : الغريبين ٥ / ١٥٧٦ .

٣ـ فِي حَدِيث عمر ـ رَضِي الله عَنهُ ـ حِين قيل لَهُ: إِن النِّسَاء قد اجْتَمعْنَ يبْكين على خَالِد بن الْوَلِيد فَقَالَ : وَمَا على نسَاء بني الْمُغيرَة أَن يسفكن من دُمُوعهنَّ على أبي سُلَيْمَان مَا لم يكن نقع وَلَا لقلقَة "[1].

قال أبو عبيد : قَالَ الْكسَائي : قَوْله نَقْع وَلَا لَقْلقَة ، النَّقْع : صَنْعَة الطَّعَام يَعْنِي فِي المأتم ....، قَالَ أَبُو عبيد : وَغير هَذَا التَّأْوِيل أحب إليّ مِنْهُ ، .... قال أبو عبيد : وَأما النَّقع الَّذِي فِي حَدِيث عُمَر رَضِيَ الله عَنْهُ فَإِنَّهُ عندنَا : رفع الصَّوْت ، على هَذَا رَأَيْت قَول الْأَكْثَر من أهل الْعلم ، وَهُوَ أشبه بِالْمَعْنَى.....قال : وقال : بَعضهم : يُرِيد عمر بالنقع : وضع التُّرَاب على الرَّأْس يذهب إِلَى أَن النَّقْع هُوَ : الْغُبَار، وَلَا أَحسب عمر ذهب إِلَى..... وَقَالَ بَعضهم : النَّقْع : شقّ الْجُيُوب ، وَهَذَا الَّذِي لَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَا أعرفهُ ، وَلَيْسَ النَّقْع عِنْدِي فِي هَذَا الحَدِيث إِلَّا الصَّوْت الشَّديد[2].

الدراسة والتحليل

مما تقدم من نص أبى عبيد فى هذا الحديث يمكن حصر الاختلاف الدائر فى الحديث ، وأنه خلاف حول تفسير دلالة لفظ " النَّقْعِ " فيه .

وقد أورد أبو عبيد في توجيه دلالة هذه اللفظة وتفسيرها أربعة وجوه اختار أحدها ، وهذه الوجوه على النحو التالى :

---

(١) ينظر الحديث فى : مصنف عبد الرزاق ٣ / ٥٥٨ ، ومصنف ابن أبى شيبة ٢ / ٤٨٦ ، وصحيح البخارى ٢ / ٨٠ ، وشرح السنة للبغوى ٥ / ٤٣٥ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٣ / ٢٧٣ وما بعدها .

الوجه الأول : تفسير النقع فى الحديث بالطعام الذى يصنع فى المأتم وهو ما حكاه عن الكسائي[١] .

الوجه الثانى : تفسير النقع فى الحديث بالصوت الشديد ورفعه ، وهو ما اختاره أبو عبيد ونقل أنه قول الأكثر من أهل العلم .

الوجه الثالث : ما نقله أبو عبيد عن بعضهم من تفسير النقع فى الحديث بالغبار فيكون معناه وضع النساء التراب على رؤوسهن .

الوجه الرابع : ما ذهب إليه بعضهم من تفسير النقع : بشق الجيوب ، وهو ما عقب عليه أبو عبيد بأنه لا يعرفه ولا يدرى ما هو .

ولتحليل هذه الوجوه أقول :

أما الوجه الأول : وهو ما حكى عن الكسائي من تفسير النقع بالطعام الذى يصنع فى المأتم كأنه مأخوذ من النقيعة ، فإنكار أبى عبيد له صحيح ، لأجماع اللغويين إلا ما شذ منهم[٢] على أن النقيعة : هى الطعام الذى يصنع للقادم من السفر ، وليس المراد بها الطعام الذى يصنع فى المأتم ، ففى المنتخب : "ويقال للذي يُصنعُ للقادم من السَّفَرِ: النَّقِيعَةُ "[٣] وعلى هذا فسر الخليل[١] قول المهلهل : المهلهل :

---

(١) ينظر رأى الكسائي فى المجموع المغيث للمدينى ٣ / ٣٤٤ ، ومشارق الأنوار ٢ / ٢٤ .

.

(٢) حكى الجوهرى عن أبى عمرو عن السلمى أن النقيعة : هى طعام الرجل ليلة يملك أى يتزوج يتزوج . ينظر : الصحاح ٣ / ١٢٩٣ باب العين فصل النون .

(٣) ينظر : المنتخب لكراع ١ / ٣٧٦ .

إنّــا لنَضْــرِبُ بالصــوارم هــامَهُم ∴ ضَــربَ القُــدارِ نَقيعــةَ القُــدّام[٢]

فقـال : القُـدّامُ : القـادمون مـن سـفر، جمـع قـادِم." ونقـل عـن الفـراء : النَقِيعـةُ: مـا صـنعَهُ الرَّجـل عنـدَ قُدومِـه مـن سَـفره[٣] وعلـى هـذا كـلام العـرب : وبه فسر أيضًا عند ابن قتيبة [٤] والأنبارى[٥] .

وأما الوجه الثانى: وهو تفسير النقع بشق الجيوب فقد روى هذا التفسير عن إبراهيم النخى ، ووكيع بن الجراح[٦] وبه قال شمر كما روى عنه الأزهرى[٧] ، وأنشد شاهدًا له قول الأسدى :

نقَعــنَ جيــوبهنَّ علــيّ حيّــاً ∴ وأعْــددنَ المراثــيَ والعــويلا[٨]

---

(١) ينظر : العين ١ / ١٧٢ باب العين والنون والقاف .

(٢) البيت من الكامل لمهلهل بن ربيعة فى ديوانه ص ٨٢، والعين ١ / ١٧٢ باب العين والنون والقاف ، والفاخر للمفضل ١ / ١٢١ ، والمعجم المفصل ٧ / ٣٨٠ .
المفردات : الصوارم : السيوف ، وهامهم : رؤوسهم ، القدار : الجزار ، القدام : جمع قادم وهو الحاضر من السفر .

(٣) ينظر : الغريب المصنف ٢ / ٤٤٧ .

(٤) ينظر : الجراثيم ١ / ٣١٥ .

(٥) ينظر : الزاهر ١ / ٣١٦ ، والغريبين للهروى ٦ / ١٨٨٠ .

(٦) ينظر: تاريخ المدينة لابن شبة٣ / ٧٩٧ ، وفتح البارى ٣/ ١٦١ ، وعمدة القارى ٨٣/٨ .

(٧) ينظر : تهذيب اللغة ١ / ١٧٥ باب العين والقاف مع النون .

(٨) البيت من الوافر للمرار الفقعسى فى الغريبين للهروى ٦ / ١٨٨٠ ، والفائق ٤ / ٢٠ ، ولسان العرب ٨ / ٣٦٣ باب العين فصل النون ، والمعجم المفصل ٦ / ١٤٥ .
المفردات : نقعن جيوبهن : شققنها ، المراثى : جمع مرثية وهى ما يقال فى رثاء الميت والعويل : الصراخ .

وقد أنكره أبو عبيد .

وأما الوجه الثالث : وهو تفسير النقع بالغبار ، فيكون معنى الحديث أن النساء يضعن التراب فوق رروسهن ، فقد أنكره أبو عبيد مستبعدا كون عمر رضى الله عنه أراد ذلك المعنى فى الحديث ، فمن الممكن تعقبه فيه ، بأن ليس هناك ما يمنع من حمل الحديث عليه من عدة جهات :

الأولى : أن لفظ " النقع " بمعنى الغبار ثابت فى اللغة مروى عن أئمتها المتقدمين .

يقول الخليل[١] : " والنَّقْعُ: الغبار. قال الشُوَيْعِرُ: واسمه عبد العزى :

فهُنّ بهم ضوامِرُ في عجاجٍ ∴ يُثِرْنَ النَّقْعَ أمثال السَّراحي[٢]

وروى الأزهرى عَن ابْن الْأَعرَابِي : النَّقْع: الْغُبَار الْمُرْتَفع [٣] ، وبه فسر قوله تعالى : فأثرن به نقعًا "[٤] قال الفراء : وقوله عزَّ وجلَّ : فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ، والنقع: الغبار، ويقال: التراب [٥].

---

(١) ينظر : العين ١ / ١٧٢ . باب العين والنون والقاف

(٢) البيت من الوافر للشويعر فى العين ١ / ١٧٢ باب العين والنون والقاف ، وتاج العروس ٢٢ / ٢٧٣ باب العين فصل النون ، والمعجم المفصل ٢ / ١٣٢ .

المفردات : ضوامر : مهازيل ، والعجاج : الغبار الذى تثيره الرياح ، والنقع : الغبار المرتفع ، والسراحى جمع سرحان وهو الذئب .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ١ / ١٧٥ باب العين والقاف مع النون .

(٤) الآية ٤ فى سورة العاديات .

(٥) ينظر : معانى القرآن للفراء ٣ / ٢٨٤ .

الثانية : أن تفسير النقع بالغبار وتفسيره فى الحديث بوَضْعَ النساء التُّرَابِ عَلَى رؤوسهن ، يمكن قبوله من جهة ِ أَنَّ ذَلِكَ من صَنِيع أهل المصائب[١] ، ويقويه أنه تفسير الإمام البخارى فى باب ما يكره من النياحة على الميت " حيث فسر النقع : بوضع التراب على الرأس[٢].

الثالثة : تفسير النقع بالغبار يخرج الحديث من دائرة التكرار فى اللفظ خاصة وأن أبا عبيد قد فسر لفظ اللقلقة في الحديث بالصوت أيضًا ، فكيف يفسر النقع بالصوت؟ مما يلزم من التكرار بلا فائدة وهو مما ينزه عنه الحديث ، فحمل النقع على الغبار أولى ليتغاير اللفظان[٣] .

الرابعة : اختيار بعض العلماء وترجيحهم تفسير النقع فى الحديث بالغبار ، فقد اختاره الحرانى فقال : " الْمُخْتَارُ: النَّقْعُ: التُّرَابُ عَلَى الرَّأْسِ"[٤] ، وقال ابن الأثير فى تفسير الحديث : " النَّقْعُ: رفْع الصَّوت. ونَقَعَ الصّوتُ واسْتَنْقَعَ ، إِذَا ارتَفَع ، وَقِيلَ : أَرَادَ بِالنَّقْعِ شَقَّ الجُيوب ، وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ وَضْع التُّراب عَلَى الرءُوس، مِنَ النَّقْع: الغُبار، وَهُوَ أَوْلَى ؛ لِأَنَّهُ قَرن بِهِ اللَّقْلَقة ، وَهِيَ الصَّوت، فَحمْل اللَّفْظَين عَلَى مَعْنَيين أَوْلَى مِنْ حَمْلهما عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ" [٥].

تعليق واستنتاج

(١) ينظر : فتح البارى ٣ / ١٦١ .

(٢) ينظر : صحيح البخارى ٢ / ٨٠ ، ٨١ .

(٣) ينظر : اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح لشمس الدين البرماوى ٥ / ١٩٩ ، والمجموع المغيث ٣ / ٣٤٥ .

(٤) ينظر : المنتقى من كتاب الطبقات ١ / ٣٠ .

(٥) ينظر : النهاية ٥ / ١٠٩ .

مما تقدم استطيع القول أن لفظ النقع فى هذا الحديث من الألفاظ المشتركة التى لها أكثر من معنى ، وأن أختيار أبى عبيد لتحديد معناها فى الحديث بالصوت وإن كان له سند لغوى من جهة أنه يقال فى كلام العرب : نَقَع الصوتُ : إذا ارتفع ، ونقع بصوته وأنقعه : إذا تابعه ، إلا أن ذلك لا يمنع من قبول تفسير دلالة النقع فى الحديث بمعنى الغبار وهو الأليق بسياق الحديث ويمنع من التكرار فى اللفظ كما تقدم .

٤ ـ في حَدِيثه عَلَيْهِ السَّلَام : " **من وجد فِي بَطْنه رِزّاً فَلينَصْرِفْ ولْيَتوضَّأ** [١].

[١].

قال أبو عبيد [٢]: قَالَ أَبُو عَمْرو: إِنَّمَا هُوَ الأُرْزُ مثل أُرْزِ الحَيّة ، وَهُوَ دورانها وانقباضها ، فشبّه دوران الرّيح فِي بَطْنه بذلك ، وَقَالَ الْأَصْمَعِي : هُوَ الرِزّ يَعْنِي : الصَّوْت بالبطن من القَرْقَرة وَنَحْوهَا ، قَالَ أَبُو عبيد : وَالْمَحْفُوظ عندنَا : مَا قَالَ الْأَصْمَعِي ، وَعَلِيهِ جَاءَ الحَدِيث إِنَّمَا هُوَ الرِزّ ، وَكَذَلِكَ كلّ صَوت لَيْسَ بالشديدِ نَحْو ذَلِك من الْأَصْوَات فَهُوَ رِزّ ، قَالَ ذُو الرُمّة يصف بَعِيرًا يهدر فِي الشَّقْشِقَة:

(١) ينظر : الحديث فى : مصنف عبد الرزاق ٢ / ٣٣٨ ، ومسند أحمد ٢/ ٩٣ ، الفائق ٢/٥٤ ٥٤/٢ ، وغريب ابن الجوزى ١ / ٣٩١ ،

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٣ / ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

رقْشَـــاءَ تنْتَـــاخُ اللّغَـــامَ المُزْبِـــدَا ∴ دَوَّمَ فِيهـــــا رِزّهُ وأرْعـــــدَا [1]

الدراسة والتحليل

أورد أبو عبيد فى نصه السابق قولين فى تحديد وتفسير دلالة لفظ " الرِّز " فى الحديث :

أحـــدهما : مـا حكـاه عـن أبـى عمـرو مـن تفسـيره الـرِّز بـالأرْز بسـكون الـراء على أنه مأخوذ من أرز الحية وهو : دورانها وانقباضها .

والثانى : ما رواه عن الأصمعى من تفسيره للرِّز : بالصوت فى البطن وهو الذى رجحه هنا .

وأقول : فى الحديث وجه ثالث فى تفسير لفظة " الرِّز " أورده ابن قتيبة [2] وهو : أن الرِّزَّ معناه فى الحديث : الوجع ، وهو غَمْزُ الحَدَث وحركتُه فِي الْبَطن حَتَّى يحْتَاج صَاحبه إِلَى دُخُول الْخَلَاء ، فتحصل لنا فى تأويل الحديث ثلاثة وجوه تحليلها على النحو التالى :

أما الوجه الأول : وهو تفسير الرَّز بالأُرز على معنى الانقباض والدوران فهو فيما أرى تفسير بعيد ؛ لأن الرواية فى الحديث إنما جاءت " رزًا " بكسر الراء مصدرا من

---

(١) البيت من الرجز لذى الرمة فى ديوانه ص٦١ ، والتهذيب ٨ / ٢٥٥ باب القاف والشين ، والصحاح ٥ / ١٩٢٢ باب الميم فصل الدال " د و م " . ، والمعجم المفصل ٩ / ٣٨١ .
المفردات : رقشاء : يعنى شقشقة البعير وهى كتلة منتفخة كالرئة تخرج منه بدفع شديد ، وصفها بالرقشاء لما فيها من الاختلاط ، تنتناخ : يعنى تخرخ ، اللغام : ما يخرج من افواه الإبل من الزبد ، دوم : التدويم أن يلوك البعير لسانه لئلا يبس ريقه ، وأرعدا : صار صوته مثل صوت الرعد .

(٢) ينظر هذا الوجه فى إصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث ١/ ١١١ ، ١١٢

الجذر اللغوى " رزز" وليست من " أرز " المفيد لهذا المعنى الذى ذهب إليه أبو عمرو .

وأما الوجه الثانى : وهو تفسير أبى عبيد للرز فى الحديث بمعنى : الصوت فله أصله فى اللغة يقول ابن دريد : " والرز: الصَّوْت ، سَمِعت رز الرَّعْد ورز الْقَوْم إِذا سَمِعت أَصْوَاتهم (١)". ونقل الأزهرى عن شمر: قَالَ بَعضهم: الرّز: الصَّوْت تسمعه لَا لَا يُدرى مَا هُوَ، يُقَال: سَمِعت رِز الرَّعْد وأريز الرَّعْد" (٢)" ، وقال ابن منظور : " والرِّزُّ، بِالْكَسْرِ: الصوتُ ، وَقِيلَ: هُوَ الصَّوْتُ تَسْمَعُهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَقِيلَ : هُوَ الصَّوْتُ تَسْمَعُهُ وَلَا تَدْرِي مَا هُوَ" (٣)" ، ومن مجيئه فى اللغة بمعنى الصوت أنه قالوا : الرِّزُّ: الرِّزُّ: لهدير الفَحْل ، قَالَ ذُو الرُّمَّة يصف بَعِيرًا يهدِر فِي الشِّقْشِقَة:

رَقْشَاءَ تَنْتَاخُ اللُّغَامَ المُزْبِدا ∴ دَوَّمَ فِيهَا رِزَّه وأَرْعَدا (٤)"

وأما الوجه الثالث : وهو تفسير ابن قتيبة للرِّز فى الحديث بمعنى : الوجع وغَمْزُ الحَدَث وحركتُه فِي الْبَطن ، فهو تفسير يعتمد على اللغة أيضا من جهة انه يقال : إِنَّه ليجد رِزّاً فِي بَطْنه ، أَي: وجعاً وغمزاً للحَدث (٥)" ويقال : رزَّهُ رزَّةً : إذا طعنه ، ، ويشهد له قَولَ أَبُو النَّجْم يذكر إبِلا عِطاشاً:

(١) ينظر : جمهرة اللغة ١ / ١٢٠ حرف الراء وما بعده " ر ز ز " .
(٢) ينظر : تهذيب اللغة ١٣ / ١١٣ باب الزاى والراء " ر ز " .
(٣) ينظر : لسان العرب ٥ / ٣٥٣ باب الزاى فصل الراء .
(٤) ينظر : تاج العروس ١٥ / ١٥٤ باب الزاى فصل الراء " ر ز ز " .
(٥) ينظر : تهذيب اللغة ١٣ / ١١٣ باب الزاى والراء " ر ز " .

لَـو جُـرّ شَـنٌّ وَسْـطهَا لـم تَحْفِـلِ ∴ مــن شَــهْوَة المَــاء وَرز مُعْضِــل[1]

قيل فى تفسيره : لَو جُرّت قربَة يابسة وسط هَذِه الإبل لم تَنفر من ذلك لشدة عطشها وذبولها. وشبّه مَا يجده فِي أجوافها من حرارة الْعَطش بالوجع فسمّاه رِزّاً [2] ، وقوله : أنشده ابن دريد :

بحُسَــامٍ أوْ رِزّةٍ مِــن نَحــيضِ ∴ ذُو شـذَاةٍ علــى الشُــجَاع النّجِيـدِ[3]

فالرِّزَّة فى البيت بمعنى : الطعنة والضربة ، الشذاة: الحدة وَالشَّر[4]

تعليق واستنتاج

مما تقدم أرى أن ما ذهب إليه ابن قتيبة من تفسيره للرز فى الحديث بالوجع وغمز الحدث وحركته هو الأولى بالقبول لأمور على النحو التالى :

(١) البيت من الرجز لأبى النجم العجلى فى ديوانه ص ٣٥٥ وغريب الحديث للحربى ٨٧١/٢ ولسان العرب ٥ / ٣٥٤ باب الزاى فصل الراء ، والمعجم المفصل ١١ / ٤٣٣ .
المفردات : الشن بفتح الشين : ما يبس من القِرَبِ ، تحفل : تهتم ، شهوة الماء : يريد شدة العطش ، والرز : الصوت ، والمعضل : الشديد .

(٢) ينظر : إصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث ١/ ١١٢ .

(٣) البيت من الخفيف لأبى زبيد الطائي فى ديوانه ٤٦ ، الجمهرة ١ / ٤٥١ باب الجيم والدال وما يليهما من الحروف فى الثلاثى الصحيح ، وجمهرة أشعار العرب ٥٨١ ، والمعجم المفصل ٢ / ٤٦٩ .
المفردات : الحسام : السيف ، والرزة : الطعنة والضربة ، والنحيض : المحدد المرقق ، والشذاة : الحدة ، الشجاع : القوى ، والنجيد : الجلد الصلب .

(٤) ينظر : جمهرة اللغة ١ / ٤٥١ باب الجيم والدال وما يليهما من الحروف فى الثلاثى الصحيح .

الأول : أن تفسير الرز بالصوت على ما فسر أبو عبيد وأن كان له أصل فى اللغة إلا أنه لا يتجه معناه فى الحديث هنا ؛ لأن حمله على معنى الصوت يوجب بالمفهوم إلْزام كلّ من وَجَدَ قَرْقَرَةً في الصَّلاة أنْ ينصرف ويتوضَّأ ، وهذا كما يقول ابن قتيبة مما لا يُوجِبُهُ أحدٌ "[1].

الثانى : مما يدعم مذهب ابن قتيبه ما جاء من حديثه صلى الله عليه وسلم من النهى عن الصلاة وهو يدافع الأخبثين" [2] " البول والغائط "، لأنه يستحب لمن يشرع فى الصلاة أَنْ يَدْخُلَ فِي الصَّلَاةِ لَا شَاغِلَ لِقَلْبِهِ عَنْهَا ، وَلَا مُعَجِّلَ لَهُ عَنْ إِكْمَالِهَا ، وَالْأَغْلَبُ مِمَّا يَعْرِفُ النَّاسُ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَهَا وَبِهِ حَاجَةٌ إِلَى تَعْجِيلِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ. كَادَ أَنْ يَجْمَعَ أَمْرَيْنِ : الْعَجَلَةَ عَنِ الْإِكْمَالِ ، وَالشُّغْلَ عَنِ الْإِقْبَالِ ، ولا شك أن المدافعة تفيد المعالجة والاشتراك فى الفعل ، بمعني أن الرجل يدفع الأخبثين حتى يؤدي الصلاة، والأخبثان يدفعانه عنها[3] .

وهذا المعنى المتقدم لا يتأتى مع مجرد الصوت المسموع من البطن على تفسير أبى عبيد ؛ بل يتأتى مع الوجع والطعن والغمز كما ذهب ابن قتيبة والله أعلم .

الثالث : موافقة بعض العلماء لابن قتيبة فى تفسيره الرز بالطعن وغمز الحدث وحركته ، يقول القالى :" ويقال : وجدت رزًا ورِزِّيزَى مثل هجيرى مقصور، وهو

(١) ينظر : إصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث ١/ ١١١ .

(٢) ينظر الحديث فى مصنف ابن أبى شيبة ٢ / ١٨٥ ، وصحيح مسلم ١ / ٣٩٣ ، وشرح مشكل الآثار للطحاوى ٥ / ٢٣٨ ، والسنن الكبرى للبيهقى ٣ / ١٠١ .

(٣) ينظر : شرح مشكل الآثار ٥ / ٢٣٨ ، ومرقاة المفاتيح ٣ / ٤٩٣ .

الوجع "[١]، وقال الزمخشرى فى تفسير الحديث " هُوَ غمز الْحَدث وحركته يُقَال : وجدت فِي بَطْني رزاً ورزيزى وإرزيزاً وَهُوَ : شبه طعن من جوع ،أَو غمز حدث أَو غير ذلك ، من قَوْلهم : رزَّه رزةً : إذا طعنه" [٢].

٥ - فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **مَنْ أَحبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَلْيُعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَابًا " أو تجفافًا** [٣].

قال أبو عبيد : "وقد تأوله بعض الناس على أنه أراد : من أحبنا افتقر في الدنيا ، وليس لهذا وجه ؛ لأنا قد نرى من يحبهم ، فيهم ما في سائر الناس من الغنى والفقر، ولكنه عندي : إنما أراد فقر يوم القيامة ، يقول : ليعد ليوم فقره وفاقته عملاً صالحًا ينتفع به في يوم القيامة ، وإنما هذا منه على وجه الوعظ والنصيحة له ، كقولك: من أحب أن يصحبني ، ويكون معي ، فعليه بتقوى الله ، واجتناب معاصيه ، فإنه لا يكون لي صاحبًا إلا من كانت هذه حاله، ليس للحديث وجه غير هذا[٤].

الدراسة والتحليل

الجلباب فى اللغة : يطلق على عدة أشياء ، فيطلق على القَمِيصُ ، وقيل : هو ثَوْبٌ أَوسَعُ مِنَ الخِمار دُونَ الرِّداءِ تُغَطِّي بِهِ المرأَةُ رأْسَها وصَدْرَها ، وَقِيلَ : هُوَ

(١) ينظر : المقصور والممدود ١ / ٢٠٥ .

(٢) ينظر : الفائق : ٢ / ٥٤ باب الراء مع الزاى .

(٣) الأثر فى : الدلائل فى غريب الحديث للسرقسطى ٢ / ٦٠٣ ، والتهذيب ١١ / ٦٤ باب الجيم واللام ، الفائق ١ / ٢٢٩ ، باب الجيم مع اللام " ج ل ب " . ولسان العرب ٢٧٢/١ باب الباء فصل الجيم .

(٤) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٣ / ٤٦٦ .

ثَوْبٌ واسِع دُونَ المِلْحَفةِ تَلْبَسه المرأَةُ ؛ وروى عن ابن الأعرابى تفسير الجلباب فى الحديث : بالإزار الَّذِي يُشْتَمَلُ بِهِ ويُغطي جَمِيع الْجَسَد ، وَجمعه جلابيب[١] .والتجفاف بكسر التاء : مَا يُجلَّلُ بِهِ الفَرس مِنْ سِلَاحٍ وَآلَةٍ تَقيه الجراحَ وقد يلبسه الإنسان أيضا[٢]، وقد أورد أبو عبيد فى تأويل معنى الحديث المتقدم وجهين :

أحدهما : أنه قد فسر على معنى : أن من أحبنا أهل البيت افتقر فى الدنيا ، وهو ما أنكره أبو عبيد من جهة أن المحبين للنبى و آله كغيرهم من الناس يوجد بينهم الغنى والفقير .

الثانى : ما اختاره فى تأويل الحديث وتوجيهه على أن معناه : من أحبنا أهل البيت فليُعِدَّ ليوم فقره يعنى آخرته عملا صالحا ينتفع به . ذاكرا عدم وجود وجه للحديث غير ما قاله .

وأقول : إن ما أنكره أبو عبيد من تأويل الحديث على الفقر فى الدنيا ارتضاه غيره بل رجحه[٣] من وجهين :

الوجه الأول : أَنَّ قَوْلَهَ : مَنْ أَحَبَّنَا بِمَعْنَى مَنِ اسْتَنَّ بِسُنَّتِنَا ، وَاهْتَدَى بِهَدْيِنَا ، وَكَفَّ عَمَّا لَا يَحِلُ لَهُ ، وَلَمْ يَتَطَلَّعْ إِلَى الْمَحْظُورِ عَلَيْهِ، وَغَيْرِ الْمُبَاحِ لَهُ ، كَانَ ذَلِكَ مُؤَدِّيًا لَهُ إِلَى الْإِقْلَالِ ، وَرِقَّةِ الْحَالِ، .. وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ}[٤] ، قَالَ : عَلَى الْفَقْرِ فِي الدُّنْيَا، قاله أبو عمران الجوني[١] ،

(١) ينظر : لسان العرب ١/ ٢٧٢ ، والتكملة للصاغانى١/٨٩ باب الباء فصل الجيم " ج ل ب " .

(٢) ينظر : لسان العرب ٩ / ٣٠ ، والتاج ٢٣ / ٩٣ باب الباء فصل الجيم " ج ل ب " .

(٣) ينظر : الدلائل فى غريب الحديث للسرقسطى ٢/ ٦٠٤

(٤) من الآية ٢٤ فى سورة الرعد

ونقل ابن منظور : أنه قيل : " إِنَّمَا كَنى بِالْجِلْبَابِ عَنِ اشْتِمَالِهِ بالفَقْر أَي فلْيَلْبس إِزارَ الفقرِ وَيَكُونُ مِنْهُ عَلَى حَالَةٍ تَعُمُّه وتَشْمَلُه ، لأَنَّ الغِنى مِنْ أَحوال أَهل الدُّنْيَا ، وَلَا يتهيأُ الْجَمْعُ بَيْنَ حُب أَهل الدُّنْيَا وَحُبِّ أَهل الْبَيْتِ " .

الوجه الثانى : أَنَّ قَوْلَهُ : فَلْيُعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَابًا، يجوز أَنْ يَكُونَ أخبارا عَنْ غَيْبٍ أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ الَّذِي عَلَّمَهُ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا تَلْقَى الْعِتْرَةُ بَعْدَهُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَالشِّدَّةِ، وَالتَّشْرِيدِ، يَقُولُ: فَمَنْ أَحَبَّنَا، وَلَمْ يَرْغَبْ بِنَفْسِهِ عَنا، لَزِمَهُ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَزِمَنَا، وَعَضَّهُ مِنَ الشِّدَّةِ مَا يَعَضُّنَا، وَقَدْ جَاءَ هَذَا مُفَسِّرًا، أَوْ كَالْمُفَسِّرِ فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ: نا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَةً، فَقَالَ: اصْبِرْ يَا أَبَا سَعِيدٍ، فَإِنَّ الْفَقْرَ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي، أَسْرَعُ مِنَ السَّيْلِ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي، أَوْ مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ إِلَى أَسْفَلِهِ "(٢)

وهناك وجه ثالث فى تأويل معنى الحديث أورده ابن قتيبة فى كتابه إصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث ، فقال : " والقولُ فيه عندي، إنَّه أراد مَنْ أحبَّنا أهلَ البيت ، فليرفض الدنيا وطَلَبها، وليزْهَد فيها وليصبر على الفَقْر والتقلّل ، وكنى عن الصبر بالجِلْبَاب والتجفاف. لأنَّه يستر الفَقْر كما يستر الجِلْبَاب والتِّجْفاف البَدن "(٣)

وقد استدل ابن قتيبة لما ذهب إليه فى هذا التأويل بما ورد عن على رضى الله عنه فيما رواه أصحاب الأخبار عنه. وذكروا أنَّه نَظَر إلى قوم ببابه فقال لقُنْبر:

---

(١) ينظر : النكت والعيون " تفسير الماوردى " ٣ / ١٠٩ .

(٢) الحديث فى مسند احمد ١٧ / ٤٧٢ ، وشعب الإيمان للبيهقى ٣ / ٦٣ .

(٣) ينظر : إصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث ١/ ١١٨ .

مولاه "يا قنبر مَنْ هٰؤلاء؟ ". قال: شيعتك يا أمير المؤمنين. قال: "ومالي لا أرى فيهم سيماء الشِّيعة؟ ". قال: وما سيماء الشِّيعة ؟ قال "خُمْص البُطُون من الطَّوى و يُبْس الشّفاه من الظَّماء و عُمْش العُيون من البكاء" (١)

تعليق واستنتاج

الذى أراه أن جميع ما ذكر من وجوه فى تفسير معنى الحديث يمكن قبولها على النحو التالى :

أولا : تأويل أبى عبيد الفقر بفقر الآخرة والاحتياج فيها للعمل الصالح النافع أمر لا يمكن انكاره ، ويؤيده حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ " قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ ، وَلَا مَتَاعَ ، قَالَ: " الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ ، وَصِيَامٍ ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ "(٢)

فالإفلاس فى الآخرة فقر ولكنه ليس عن قلة مال بل بالخلو من الأعمال الصالحه ، وهو الفقر الذى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعوذ منه(٣).

ثانيا : تأويل ابن قتيبة للفقر فى الحديث بمعنى : الزهد فى الدنيا له شاهده المتقدم من حديث على فى وصف علامات المحبين لأهل البيت والتى تدور حول الزهد فى الدنيا بترك ملذاتها وشهواتها . ويقويه شاهد آخر أورده الشجرى فى أماليه بسنده

(١) ينظر : المجالسة وجواهر العلم لأبى بكر لدينورى ٤ / ٧٨ .

(٢) الحديث فى مسند أحمد ١٤ / ١٣٨ ، وسنن الترمذى ٤ / ١٩١ .

(٣) ينظر : بحر الفوائد المسمى بمعانى الأخبار للكلاباذى ١/ ١٣٦ .

قَالَ " : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ: يَابْنَ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فَاسْتَعِدْ لِلْفَقْرِ جِلْبَابًا» مَا ذَلِكَ الْفَقْرُ؟ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، هُوَ الْفَقْرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَوْ جُعِلَتِ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا لِمُؤْمِنٍ مَا فَرِحَ بِهَا، وَلَوْ صُرِفَتْ بِكُلِّيَّتِهَا مَا حَزِنَ عَلَيْهَا، وَإِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا يَسْكُنُونَ إِلَى شَيْءٍ دُونَهُ "(١)

فهذا صريح فى بيان معنى الفقر المقصود فى الحديث وهو الفقر إلى الله زُهدًا فى الدنيا ورغبة عنها ، وأملاً فى نيل ما ادخر من ثواب وأجر عند الله تعالى .

ثالثا : تأويل من ذهب إلى حمل الفقر فى الحديث على معنى الفقر فى الدنيا لا يبعد أيضا قبوله ، من جهة أن الملازم لحب النبى وآله المستقيم على هديهم المستن بسنتهم ربما يؤدى به ذلك إلى رقة الحال والفقر وهو حال كثير من المؤمنين الملتزمين بحدود الله وشرائعه فى الأمر والنهى ، ويؤيده حديث " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " قال النووى فى تفسيره " مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ مَسْجُونٌ مَمْنُوعٌ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ وَالْمَكْرُوهَةِ مُكَلَّفٌ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ الشَّاقَّةِ فَإِذَا مَاتَ اسْتَرَاحَ مِنْ هَذَا وَانْقَلَبَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّعِيمِ الدَّائِمِ وَالرَّاحَةُ الْخَالِصَةُ مِنَ النُّقْصَانِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّمَا لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا حَصَّلَ فِي الدُّنْيَا مَعَ قِلَّتِهِ وَتَكْدِيرِهِ بِالْمُنَغِّصَاتِ فَإِذَا مَاتَ صَارَ إِلَى الْعَذَابِ الدَّائِمِ وَشَقَاءِ الْأَبَدِ"(٢)

(١) ينظر : ترتيب الأمالى الخميسية للشجرى ١ / ٢٠٨ .

(٢) ينظر : شرح النووى على صحيح مسلم ١٨ / ٩٣ .

٦ ـ فِي حَدِيث عبد الله ـ رحمَه الله ـــ أنه قيل لَهُ : إن فلَانا يقْرَأ الْقُرْآن منكوسا فَقَالَ : ذَلِك منكوس الْقلب"(١).

قال أبو عبيد : قَوْله : " يقْرَأ الْقُرْآن منكوسًا " يتأوله كثير من النَّاس أنه : أَن يبْدَأ الرجل من آخر السُّورَة فيقرأها إِلَى أَولهَا ، وَهَذَا شَيْء مَا أَحسب أحدا يطيقه ، وَلَا كَانَ هَذَا فِي زمَان عبد الله وَلَا أعرفهُ ، وَلَكِن وَجهه عِنْدِي : أَن يبْدَأ من آخر الْقُرْآن من المعوذتين ثمَّ يرْتَفع إِلَى الْبَقَرَة كنحو مَا يتَعَلَّم الصّبيان فِي الْكتاب لِأَن السّنة خلاف هَذَا (٢) .

الدراسة والتحليل

لفظة " منكوس " فى حديث ابن مسعود . رضى الله عنه . اسم مفعول من الجذر اللغوى " نكس " الذى يدور معناه فى اللغة حول : انقلاب الشيء أو ارتداده عن مُطّرِدِ حاله واتجاهه(٣) ، فروى الأزهرى عن شمر قوله : " النَّكْسُ فِي أَشْيَاء ، وَمَعْنَاهُ يَرْجِع إِلَى قلبِ الشَّيْء وردِّه وجعلِ أَعْلَاهُ أسفلَه، ومقدَّمِه مؤخَّرَه(٤).

وقال ابن فارس:" النُّونُ وَالْكَافُ وَالسِّينُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى قَلْبِ الشَّيْءِ. مِنْهُ النَّكْسُ : قَلْبُكَ شَيْئًا عَلَى رَأْسِهِ ، وَالْوِلَادُ الْمَنْكُوسُ : أَنْ يَخْرُجَ رِجْلَاهُ قَبْلَ رَأْسِهِ ، وَالنِّكْسُ:السَّهْمُ الَّذِي يَنْكَسِرُ فُوقُهُ، فَيُجْعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ. وَيُقَالُ لِلْمَائِقِ: إِنَّهُ لَنِكْسٌ،

---

(١) ينظر الحديث فى : مصنف عبد الرزاق ٤ / ٣٢٣ ، ومصنف ابن أبى شيبة ٦ / ١٥٦ ، والمعجم الكبير للطبرانى ٩ / ١٧٠ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٤ / ١٠٣ وما بعدها .

(٣) ينظر : المعجم الاشتقاقى د / جبل ٤ / ٢٢٥٨ .

(٤) ينظر : تهذيب اللغة ١٠ / ٤٣ باب الكاف والسين " ن ك س " .

تَشْبِيهًا بِذَلِكَ. وَالْمُنَكِّسُ مِنَ الْخَيْلِ: الَّذِي إِذَا جَرَى لَمْ يَسْمُ بِرَأْسِهِ وَلَا هَادِيهِ مِنْ ضَعْفِهِ [١].

وقد أورد أبو عبيد فى نصه المتقدم خلاف العلماء فى تأويل قول ابن مسعود " يقرأ القرآن منكوسًا " وأنهم فى ذلك على مذهبين[٢]

المذهب الأول : وهو تفسير قراءة القرآن منكوسًا بمعنى : قراءة السورة من آخرها إلى أولها ، وهو ما أنكره أبو عبيد .

المذهب الثانى : وهو أن المراد بقراءته منكوسًا : أن يقرأ القرآن من آخره فيقرأ من المعوذتين ثم يرتفع إلى البقرة وهو ما اختاره أبو عبيد هنا[٣] .

وعلى هذا يكون النكس المنهى عنه على ما فسر أبو عبيد هو : قراءة القرآن من آخره إلى أوله فيبدأ بالمعوذتين ثم يرتفع إلى البقرة .

وقد استدل أبو عبيد لاختياره هذا بما جاء من حديث عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم أَنه كَانَ إِذا أنزلت عَلَيْهِ السُّورَة أَو الْآيَة قَالَ : ضعوها فِي الْموضع الَّذِي يذكر فِيهِ كَذَا وَكَذَا[٤] " قال : أَلا ترى أَن التَّأْلِيف الْآن فِي هَذَا الحَدِيث من رَسُول الله صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم ثُمَّ كتبت الْمَصَاحِف على هَذَا ، وَمِمَّا يبين لَك أَيْضا أَنه ضم بَرَاءَة إِلَى الْأَنْفَال فَجَعلهَا بعْدهَا وَهِي أطول وَإِنَّمَا ذَلِك التَّأْلِيف ، فَكَانَ أول

(١) ينظر : مقاييس اللغة ٥ / ٤٧٧ " ن ك س " .

(٢) ذكر المذهبين أيضا الزمخشرى فى الفائق ٤ / ٢٥ وابن الأثير فى النهاية ٥/ ١١٥ والكجراتى فى مجمع بحارالانوار ٤ / ٧٨٣ .

(٣) وتابعه فى القول به ابن الجوزى فى غريب الحديث ٢ / ٤٣٦ .

(٤) ينظر الحديث فى : مسند أحمد ١ / ٤٦٠ ، وسنن أبى داوود ١ / ٢٠٨ ، وسنن الترمذى ٥ / ١٢٣ .

الْقُرْآن فَاتِحَة الْكتاب ثمَّ الْبَقَرَة إِلَى آخر الْقُرْآن فَإِذا بَدَأَ من المعوذتين صَارَت فَاتِحَة الْكتاب آخر الْقُرْآن فَكيف تسمى فاتحته وَقد جعلت خاتمته ؟[1]

والذى تطمئن إليه النفس هنا فى تفسير الحديث أن المراد بقراءة القرآن منكوسا هو : قراءة السورة من آخرها إلى أولها على القلب وهو الوجه الذى انكره أبو عبيد ؛ وذلك لأن تفسير أبى عبيد للنكس المنهى عنه بقراءة القرآن من المعوذتين إلى البقرة ، يفهم منه أن ترتيب السور فى المصحف توقيفى .

والحق أن القول بذلك محل خلاف بين العلماء ، حيث ذهب بعضهم إلى عكس هذا القول وإِنَّ تَرْتِيبَ السُّوَرِ اجْتِهَادٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ كَتَبُوا الْمُصْحَفَ وأنه لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ تَرْتِيبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ وَكَّلَهُ إِلَى أُمَّتِهِ بَعْدَهُ وَهَذَا قَوْلُ مَالِكٍ وَجُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني "[2]

وقد فصل الباقلانى ـ رحمه الله ـ القول فى ذلك مشبعًا إياه بالأدلة على عدم التوقيف فى ترتيب السور فقال : " واعلموا رحمكم الله أن مَن قال من أهل العلم إنَّ تأليفَ سور المصحف كان واجباً عن توقيف من الرسول ، لا يقولُ مع ذلك إنَّ تلقين القرآنِ وتلاوته والصلاة به يجبُ أن يكونَ مرتّباً على حسب الترتيب الموقف عليه في المصحف، بل إنّما يُوجبُ تأليف سُوَرِه كذلك في الرسم والكتابة، ولا نعلمُ أحداً منهم قال إنَّ ترتيبَ ذلك واجب في الصلوات المفروضة وغيرها، وفي تلقِين القرآنِ ودرسه، وإنه لا يَحِل لأحد أن يتلقّن الكهف قبلَ البقرة، ويقرأ في صلاته الحجّ بعدَ الكهف، ولا أن يدرس البقرة ثم يدرس بعدها النحل والرعد، هذا مما لا نعرفُه

(١) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٤ / ١٠٤ .

(٢) ينظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضى عياض ٣ / ١٣٧ .

مذهبا لأحدٍ وإن كان وجوبُ الترتيب في الرسم والكتابة مذهبا لجماعةٍ من أهل العلم والقرآن " [1] .

وقد استدل الباقلانى ومن تبعه لما ذهبوا إليه بأمور منها :

أولا : ـ ما روى من حُذَيْفَةَ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا"[2] ، قال القاضى عياض : " وَقَوْلُهُ ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ" فِيهِ دَلِيلٌ لِمَنْ يَقُولُ إِنَّ تَرْتِيبَ السُّوَرِ اجْتِهَادٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ "[3].

ثانيا : ـ ما روى من حديث ابن عباس " قُلْتُ لِعُثْمَانَ مَا حَمَلَكُمْ عَلَى أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي،وَإِلَى بَرَاءَةٌ وَهِيَ مِنَ الْمِئِينِ ، فَقَرَنْتُمْ بِهِمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَوَضَعْتُمُوهُمَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كَثِيرًا مَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّورَةُ ذَاتُ الْعَدَدِ فَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ يَعْنِي مِنْهَا دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا ، وَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ ، وَبَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ وَكَانَ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِهَا ، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا ، فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) ينظر : الانتصار للقرآن لأبى بكر الباقلانى ١ / ٢٨٠ .

(٢) ينظر الحديث فى مسند احمد ٣٨ / ٢٩٦ ، وصحيح مسلم ١ / ٥٣٦ ، وسنن النسائي ٢٢٥/٣ .

(٣) ينظر : إكمال المعلم للقاضى عياض ٣ / ١٣٧ ، ونقله النووى فى شرح صحيح مسلم ٦١/٦ ، ونيل الأوطار ٢ / ٢٦٥ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وَوَضَعْتُهُمَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ"[١]

فهذا تصريحٌ من عثمان بأنَّه لم يكن من الرسول نص على وجوب تأليف الأنفال إلى براءة، وأنهم إنما عملوا ذلك بالرأي والاجتهاد الذي ذكره عثمانُ عن نفسِه ، يقول ابن حجر : " فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَرْتِيبَ الْآيَاتِ فِي كُلِّ سُورَةٍ كَانَ تَوْقِيفًا ، وَلَمَّا لَمْ يُفْصِحِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِ بَرَاءَةٌ أَضَافَهَا عُثْمَانُ إِلَى الْأَنْفَالِ اجْتِهَادًا مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ[٢] .

ثالثا : . ما رواه ابن جريج عن يوسف بن ماهك قال: "إني عند عائشة إذ جاءها عراقي فقال: أريني مصحفك ، قالت: لم ؟ قال لعلي أؤلف القرآن عليه، فإنا نقرؤه غير مؤلف، قالت: فلا يضرك أيُّهُ قرأت قبل ، إنما نزل أول ما نزل من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس نزل الحلال والحرام، لقد أُنزل بمكة – وأنا جارية ألعب – على محمد – صلى الله عليه وسلم – (وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ "[٣]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده" ثم أخرجت إليه مصحفا، فجعلت تملي عليه[٤].

(١) ينظر : مسند أحمد ١ / ٤٦٠ ، وسنن أبى داوود ١ / ٢٠٨ ، وسنن الترمذى ٥ / ١٢٣ ، وكتاب المصاحف لابن أبى داوود السجستانى ١ / ١١٤ ، وشرح مشكل الآثار ١٢٠/١ ، وشرح السنة للبغوى ٤/ ٥١٨ .

(٢) ينظر : فتح البارى ٩ / ٤٢ .

(٣) من الآية ٤٦ فى سورة القمر .

(٤) ينظر الحديث فى صحيح البخارى ٦ / ١٨٥ ، والسنن الكبرى للنسائي ٧ / ٢٤٦ .

قال الباقلانى : " فهذا أيضا نص من عائشة – رضي الله عنها – على سقوط فرض ترتيب سور القرآن، وأنه لا يجب أيضا تأليفه على تاريخ نزوله، ولو قد كان من الرسول – صلى الله عليه وسلم – نص في ذلك يوجب العلم ويقطع العذر لوجب شهرته، وأن تكون عائشة أقرب الناس إلى علمه وأعرفهم به، ولم تكن بالذي يقول لا تبالي بأيه بدأت قبل ، وهذا يدل على أنهم كانوا مخيرين في تأليف السور، وكان مردودا إلى رأيهم واجتهادهم(١).

رابعا : استدلال من استدل للقول بالتوقيف فى ترتيب السور بما روى عن ابن مسعود وابن عمر من قولهم فيمن يقرأ القرآن منكوسا ذلك منكوس القلب " فقد رده الباقلانى بأنه لا حجة فيه ؛ معللا لذلك بقوله :

" لأنهما إنما عنيا بذلك من يقرأ السور منكوسة ويبتدأ من آخرها إلى أولها ؛ لأن ذلك حرام محظور، وفي الناس من يتعاطى هذا في القرآن وفي إنشاد الشعر فيُذلل عند نفسه بذلك لسانه ويقتدر به على الحفظ، وذلك مما حظره الله تعالى ومنعه في قراءة القرآن ؛ لأنه إفساد للسورة ومخالفة لما قصد بها وتجاوز لما حد في كتابتها وتلاوتها، وليس يريد بذلك من قرأ القرآن من أسفل إلى فوق، ومن بدأ بـ آل عمران وثنى بالبقرة وكيف يريدون ذلك وهم قد علموا اختلاف تأليف المصاحف، وأن في الأمة من يبدأ بحفظ ما خف من المفصل ثم يرتفع إلى حفظ ما طال وصعب، ومنهم من يحفظ متفرقا من المواضع المختلفة ويتلوه كذلك، ومن يصلي به في فرائضه

(١) ينظر : الانتصار للقرآن لأبى بكر الباقلانى ١ / ٢٨٣ .

ونوافله على هذا الوجه، وهو مذموم بل عمل الأمة على تجويز ذلك وأنه شائع مستقر إلى اليوم "[١]

لكل ما تقدم يمكن القول بأن الأشبه بمعنى الحديث هنا هو تفسيره على معنى قراءة من يقرأ السورة من القرآن من آخرها إلى أولها فهذا هو النكس المنهى عنه فى الحديث بناء على ما صح من أن ترتيب السور فى القرآن اجتهاد وليست توقيفًا .

٧ ـ فى حديث عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـــ قَالَتْ : **إنَّ للَّحْم سَرَفًا كسَرَفِ الْخَمْرِ**" [٢] .

قال أبو عبيد : قَالَ أَبُو عَمْرو: يُقَال : سَرِفت الشَّيْء : أخطأته وأغفلته ، وَقَالَ أَبُو زِيَاد الْكلابِي فِي حَدِيثه : أردتكم فَسَرَفتُكُم أَي أخطأتكم.... وَقَالَ مُحَمَّد بن عمر: السَرَف فِي هَذَا الحَدِيث : الضراوة ، وَيُقَال : للّحم ضراوة مثل ضراوة الْخمر ، قَالَ أَبُو عبيد : وَهَذَا عِنْدِي أشبه بِالْمَعْنَى وَإِن لم أكن سَمِعت هَذَا الْحَرْف فِي غير هَذَا الحَدِيث وَالَّذِي يذهب إِلَى أَن السَّرف الْخَطَأ يَقُول: إدمانه خطأ فِي النَّفَقَة [٣].

الدراسة والتحليل

(١) ينظر : الانتصار للقرآن لأبى بكر الباقلانى ١ / ٢٨٦ ، وبه قال ابن بطال فى شرح صحيح البخارى ١٠ / ٢٣٩ ، ونقله النووى فى شرح صحيح مسلم ٩ / ٤٣ ، وابن الملقن فى التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢٤ / ٤٤ .

(٢) ينظر الحديث فى : تهذيب اللغة ١٢ / ٢٧٦ ، والمجموع المغيث للمدينى ٢ / ٨١ ، والفائق ٢ / ١٧٦ .

(٣) ينظر : تفسير الخازن ٤ / ٢١٢ .

اختلف العلماء فى تفسير قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ " إنَّ لِلَّحْمِ سَرَفًا كَسَرَفِ الخَمْرِ " ويفهم من نص أبى عبيد السابق أن الخلاف فى تفسير دلالة هذه اللفظة مذهبين :

المذهب الأول : تفسير السَّرف فى الحديث : بالغفلة والخطأ ، وعزى لأبى عمرو(١).

المذهب الثانى : تفسير السَّرف : بالضراوة ، وهو ما اختاره أبو عبيد هنا .

وكلا التفسيرين له وجهه من الناحية اللغوية ، فتفسير السرف بالغفلة والخطأ يؤيده قول الخليل : " والسَّرَفُ: الخَطَأ(٢) ، وقال ابن السكيت : " السرف : الإغفال وقال أيضا : سَرِفَ بالكسر : أخطأ (٣) ، ونقل الجوهرى عن الأصمعي عن بعض الأعراب ، وواعده أصحابٌ له من المسجد مكانًا فأخْلَفَهُم ، فقيل له في ذلك : فقال: " مررت بكُم فسَرِفتكم " (٤) .

أما تفسير السرف فى الحديث بالضراوة ، فالضراوة فى اللغة مصدر للفعل ضرى بمعنى : اعتاد ، قال الأزهرى : " الضَّراوةُ: الْعَادة يُقَال: ضَرِيَ بالشَّيْء: إِذا اعتاده فَلَا يكَاد يصبِر عَنهُ. وضَرِيَ الكلبُ بالصيد: إِذا تَطَعَّمَ بلَحْمه ودَمِه(٥).

وقال ابن فارس : " الضَّادُ وَالرَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا شِبْهُ الْإِغْرَاءِ بِالشَّيْءِ وَاللَّهَجِ بِهِ، وَالْآخَرُ شَيْءٌ يَسْتُرُ.فَالْأَوَّلُ قَوْلُ الْعَرَبِ: ضَرِيَ بِالشَّيْءِ، إِذَا أُغْرِيَ بِهِ حَتَّى لَا يَكَادَ يَصْبِرُ عَنْهُ. وَيُقَالُ: لِهَذَا الشَّيْءِ ضَرَاوَةٌ: أَيْ لَا يَكَادُ يُصْبَرُ

(١) ينظر رأيه فى : المجموع المغيث ٢ / ٨١ .

(٢) ينظر : العين ٧ / ٢٤٤ باب السين والراء والفاء معهما .

(٣) ينظر : إصلاح المنطق ٥٤ ، و ١٤٤ .

(٤) ينظر : الصحاح ٤ / ١٣٧٤ باب الفاء فصل الراء " س ر ف " .

(٥) ينظر : تهذيب اللغة ١٢ / ٤٠ باب الضاد والراء " ض ر ى " .

عَنْهُ. [١] ، والمعنى على هذا التفسير إن للحم ضراوة أى اعتيادًا وطلبا له وشهوة لأكله كما لشرب الخمر من اعتياد وشهوة .

تعليق واستنتاج

الذى أراه هنا أن تفسير الحديث على ما جاء من ظاهر لفظه وهو كون سرف اللحم كسرف الخمر هو الأولى بالقبول ، وذلك لأن السَّرَف فى اللغة مصدر للجذر اللغوى " سرف " الذى يدور معناه المحوري حول تجاوز الحد أو الحق في الأخذ من الشيء إلى الإهدار والإفساد[٢] ، ومن معانيه أيضا : الخطأ والغفلة وهى ترجع أيضا إلى مجاوزة الحد فى تقرير الصواب ، وعلى هذا يكون معنى الحديث دائرًا حول الطغيان ومجاوزة الحد ، فيفسر بأن مجاوزة حد الاقتصاد فى أكل اللحم ، يؤدى إلى اعتياده وعدم الصبر على قلته ، الأمر الذى يستلزم منه الغفلة والخطأ فى الإنفاق على اجتلابه ، مما يستدعى معه الإسراف والتبذير فيه ، وأن من يفعل ذلك مثله مثل من اعتاد على شرب الخمر وضرى بها ، فإن شاربها يكثر منها ويعتادها ولا يصبر عنها ، فيغفل ويخطيء فيما ينفقه فيها ، مما يؤدى إلى إسرافه فيها ومجاوزة حد الاقتصاد فى النفقة والاعتدال ، وهذا الذى ذهبت إليه يدعمه أمران :

الأول . ما جاء فى التهذيب من إنكار شمر تفسير من فسر السرف بالضراوة ففيه : " وَقَالَ شمر : رُوي عَن محمّد بن عَمْرو أَنه قَالَ فِي قَول عَائِشَة : إنّ للّحم سَرَفاً كسرَف الْخمر ، أَي : ضَراوةً كضَراوة الْخَمر ، قَالَ شَمِر: لم أَسمَع أحدا ذَهَب بالسَّرَف إِلَى الضَّراوة ، وَكَيف يكون ذَلِك تَفْسِيرًا لَهُ وَهُوَ ضدّه والضَّراوة للشَّيْء :

(١) ينظر : مقاييس اللغة ٣ / ٣٩٧ " ض ر ى " .

(٢) ينظر : المعجم الاشتقاقى د / جبل ٢ / ١٠٠٠ .

كثرةُ الاعتياد لَهُ ، والسّرَف بالشَّيْء: الجهلُ بِهِ إِلَّا أَن تصير الضَّراوة نفسُها سَرَفاً ، أَي: اعتيادُه وكثرةُ شِرائه سَرَف[1]

الثانى ـ ما جاء فى النهاية فى تفسير الحديث حيث قال : أرادَ أنَّ لَهُ عَادَةً طَلَّابةً لِأَكْلِهِ ، كعادةِ الَخْمر مَعَ شَارِبها، ومَن اعْتَادَ الْخَمْرَ وشَرِبَها أسْرَف فِي النَّفَقة وَلَمْ يَتْرُكْهَا، وَكَذَلِكَ مَنِ اعْتَاد اللَّحم لَمْ يكَد يصْبر عَنْهُ، فدخَل فِي دَأْب المُسْرف فِي نَفَقته[2].

(١) ينظر : تهذيب اللغة ١٢ / ٢٧٧ .

(٢) ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٣ / ٨٦ .

المبحث الثالث

فى اشتقاق المفردات اللغوية

١ ـ فى حَدِيث عَلـيّ رَضِيَ الله عَنْهُ : " لَا قطع فِي الدَّغْرَة "[١].

قال أبو عبيد : ويرْوى: الدَّغَرَة ، ويفسرها الْفُقَهَاء أَنَّهَا : الخلسة. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَهِي عِنْدِي من الدّفع أَيْضا ، وَهِي الدغْرة – بجزم الْغَيْن وَإِنَّمَا هُوَ توثب المختلس وَدفعه نَفسه عَليّ الْمَتَاع ليختلسه[٢] .

الدراسة والتحليل

فى النص السابق يظهر الخلاف فى تفسير لفظة " الدَّغْرة " من حديث على ـ رضى الله عنه ـ " لا قطع فى الدغْرة " .

وقبل الخوض فى ذلك أقول : لفظ " الدَّغْرَة " مختلف فى ضبطه بين المحدثين واللغويين فالمحدثون يرونه " الدغرة " بتحريك الغين ، وهو عند اللغويين بجزمها ، قال الأنبار : " والمُحدِّثون يقولون : في الدَّغَرة بفتح الغين ، وأهل اللغة يسكنون الغين "[٣]

وقد فسر الفقهاء الدَّغرة فى حديث على رضى الله عنه بالخُلسة ، فروى الطبرى فى تهذيب الآثار : الدَّغْرَةُ : هيَ الخُلسَة "[٤] وروى عن الأصمعي : الدَّغْرُ:

---

(١) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ١/ ٢٩ ، وغريب الحديث للحربى ١/ ٢٦٩ ، والفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ١/ ٤٢٨ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ١/ ٢٩ .

(٣) ينظر : الزاهر فى معانى كلمات الناس لابى بكر الأنبارى ١ / ٤٠٢ .

(٤) ينظر : تهذيب الآثار للطبرى ١ / ٢٠٤ .

الاختلاس في سُرعة "[1] ونقل الأزهرى عن ابن الأعرابى قوله : النَّهَرُ: الدَّغْرَةُ ، وَهِي الخُلسة [2]"

وذهب أبو عبيد إلى أن تفسير الدغرة بالخلسة يرجع أيضًا لمعنى الدفع الذى هو الأصل فى دلالة هذه اللفظة ، وذلك من جهة أن المختلس يدفع نفسه على الشيئ ليختلسه .

وما ذهب إليه أبو عبيد فى هذا هو الوجه ؛ وذلك لأن أصل معنى المادة اللغوية يدل على الدفع ، يقول الخليل :" الدَّغْرُ: الاقْتِحامُ من غير تثبتٍ ، [3] ، ويقول ابن دريد : الدَّغْر: الدّفع الشَّديد[4] .

وقال ابن فارس : " الدَّالُ وَالْغَيْنُ وَالرَّاءُ : أَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الدَّفْعُ وَالتَّقَحُّمُ فِي الشَّيْءِ "[5] .

وعلى هذا المعنى فسر قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: " عَلامَ تُعَذِّبْنَ أولادَكُنَّ بالدَغْرِ "، حيث قيل فى تفسيره " : الدَّغْرُ هو : غَمْزُ الحَلْقِ بالأُصبع ، وَذَلِكَ أَن الصَّبِيَّ تأْخذه الغُذْرَةُ [6]، وَهُوَ وَجَعٌ يَهِيجُ فِي الْحَلْقِ مِنَ الدَّمِ، فَتَدْخُلُ المرأَة

(١) ينظر : الفاخر ١ / ٥٤ ، و الزاهر فى معانى كلمات الناس لابى بكر الأنبارى ١ / ٤٠٢ .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة للأزهرى ٦ / ١٤٩ أبواب الهار والراء " ن هـ ر " .

(٣) ينظر : العين للخليل بن أحمد ٤ / ٣٩١ باب الغين والدال والراء معهما .

(٤) ينظر : جمهرة اللغة لابن دريد ٢/ ٦٣٣ باب الدال والراء .

(٥) ينظر : مقاييس اللغة ٢ / ٢٨٥ " د غ ر " .

(٦) وهى : قُرحَةٌ تَخرَجُ في الخَزْم الذي بين آخر الأنف وأَصْلِ اللَّهاة، تُصِيبُ الصّبيان عند طُلُوع الغُذْرَة، فتَعْمَد المَرأَةُ إلى خِرقة فَتَفْتِلَها فَتْلًا شديدا وتُدخِلَها في أنفِه، فتَطْعَن ذَلِك الموضعَ فيَنْفَجِر منه دمٌ أَسودُ، وربما أَقرحَ الطَّعنُ ذَلِكَ المَوْضعَ وذلك * الطَّعْن يُسَمَّى الدَّغْر، وكانوا بعد أن يَفْعَلُوا ذلك بالصَّبِيّ يُعَلِّقون عليه عِلاقًا . ينظر : غريب الحديث للحربى ١/ ٢٦٩ .

المرأَة أُصبعها فَتَرْفَعُ بِهَا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ وتَكْبِسُه، فإِذا رَفَعَتْ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ بأُصبعها قِيلَ : دَغَرَتْ تَدْغَرُ دَغْراً .

ومثله أيضًا ما جاء فى تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : " لِأُمِّ قيسٍ بنت محصن «علام تَدْغَرْنَ أولادكنّ بِهَذِهِ العُلُقِ[1]» .

فتفسير الدغر فى هذه الأحاديث بالدفع يقوى حمل معنى الدغرة فى حديث على ـ رضى الله عنه ـ على معنى الدفع أيضا كما ارتأه أبو عبيد ، لأن الخُلسة وهى : الأخذ من الشيئ بسرعة فيها معنى الدفع ؛ ففيها يدْفع المختلس صَاحب الْمَتَاع ، فَيَرْمِي بِهِ ، ثمَّ يستلب مِنْهُ مَا مَعَه "[2] وعليه يكون اطلاق الدَّغْرة على الخلسة من باب التوسع .

٢ـ في حَدِيث النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام : " أنه نهى عَن كسب الزمَّارة "[3]

قال أبو عبيد : قَالَ الْحجَّاج: الزمارة : الزَّانِيَة ، قَالَ أَبُو عُبَيد : فمعني قَوْله هَذَا مثل قَوْله " أَنه نهى عَن مهر الْبَغي "[4] ، وَالتَّفْسِير فِي الحَدِيث وَلم أسمع هَذَا هَذَا الْحَرْف إِلَّا فِيهِ ، وَلَا أَدْرِي من أَي شَيْء أُخِذ ، وَقَالَ بَعضهم : " الرمازة " وَهَذَا عِنْدِي خطأ فِي هَذَا الْموضع ، أما الرمازة ففِي حَدِيث آخر ، وَذَلِكَ أَن

(١) وهذا يفيد كراهيته صلى الله عليه وسلم الْعِلَاقَ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لَهُ ، وَلَا يُغْنِي عَنِ الْمَعْذُورِ شَيْئًا ، وَأَمَرَهَا أَنْ تُسْعِطَهُ بِمَاءِ الْعُودِ الْهِنْدِيِّ ، وَهُوَ الْقُسْطُ فِي أَنْفِهِ؛ لِأَنَّهُ يَصِلُ إِلَى الْعُذْرَةِ فَيَقْبِضُهَا . ينظر : النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢ / ١٢٣ ..

(٢) ينظر : تهذيب الآثار للطبرى ١ / ٢٠٤ .

(٣) الحديث فى غريب أبى عبيد ١ / ٣٤١ ، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ١ / ٤٥١ ، ومصنف ابن أبى شيبة ٤ / ٣٤٨ ، ومسند البزار ١٧ / ٢٩٥ .

(٤) الحديث فى صحيح البخارى ٧ / ٦١ .

مَعْنَاهَا مَأْخُوذ من الرَّمْز ، وَهِي الَّتِي تومئ بشفتيها أَو بعينيها ، فَأَي كسب لَهَا هَهُنَا يُنْهِي عَنْهُ ، وَلَا وَجه للْحَدِيث إِلَّا مَا قَالَ الْحجَّاج : الزمارة [1].

الدراسة والتحليل

الحديث فى بيان بعض الكسب المنهى عنه ، وقد فسر أبو عبيد لفظ " الزَّمَّارة " فى الحديث بما نقل عن الحجاج[2] من أنها المرأة الزانية ، ونقل عن بعضهم أن هذا اللفظ يروى " الرَّمَّازَة " بالراء أولاً ، وحكم على هذه اللفظة بالخطأ فى هذا الموضع ، وإن جاءت فى حديث أخر[3] مبينًا أن معناها فيه مأخوذ من : الرمز ويراد بها : المرأة التى ترمز وتومئ بشفتيها أو بعينها ، أما لفظ " الزَّمَّارة " فى هذا الحديث فلا يجوز حمله إلا على معنى الزانية . ، والذى يستخلص من نص أبى عبيد عدة أمور :

١ . تفسيره الزَّمَّارة فى هذا الحديث بالمرأة الزانية ، ، وأن معناه فيه كمعناها فى حديث : أنه نهى عن مَهْر البَغِيِّ " حيث قيل فى تفسيره هو أنْ يُعْطِيَ امْرَأَةً شَيْئًا عَلَى أَنْ يَفْجُرَ بِهَا.

٢ . عدم معرفته من أى شي اشتق لفظ الزَّمَّارة بمعنى : المرأة الفاجرة فى هذا الحديث.

---

(١) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ١ / ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٢) هو حجاج بن محمد المصيصي الأعور ، تِرْمِذِيُّ الأصل ، سكن بغداد، ثمّ نزل المصِّيصَة. كان ضابطًا صحيح الحديث ، صاحب عربية. توفى سنة/٢٠٦ هـ.
يُنظَر: التاريخ الكبير للبخارى ٢ / ٣٨٠ ، تاريخ الإسلام للذهبى ٥ / ٤٦ ، وطبقات المفسرين للداوودى ١ / ١٣١ .

(٣) يعنى به الحديث الذى رواه أبو هريرة ،وهو : ثمن الكلب وأجر الرمّازة من السُّحْت " رواه ابن قتيبة فى إصلاح ما غلط فيه أبو عبيد فى غريب الحديث ١/ ٦٢ .

٣ ـ تخطئته لمن روى هذا الحرف " الزَّمَّازة " بتقديم الراء فى هذا الحديث لنفس معنى الزمارة يعنى الفاجرة .

وما ذهب إليه أبو عبيد هنا يمكن مناقشته على النحو التالى :

أولا : روايته و تفسيره للفظ " الزَّمَّارَة " بتقديم الزاى بمعنى المرأة الزانية فقد أجمع عليه أصحاب الحديث(١) ، و تابعه فيه كثير من أهل العلم ،يقول الخليل: والزّمّارة : الزّانية(٢). وروى فى التهذيب عن أبى عبيدة : الزَّمْخَرَةُ : الزَّمَّارَةُ ، وَهِي : الزَّانِيَة(٣). وروى عن ثعلب : قَالَ: الزَّمَّارَةُ هِيَ البَغِيُّ الحسْنَاء(٤) . واختاره بعضهم فروى العسكرى عن الانبارى قالَ : قال أَبُو بكر : وَالِاخْتِيَار عِنْدِي : الزمَّارة بالزاي الْمُعْجَمَة عَلَى مَا قالَ أَبُو عُبَيْد(٥) وقال فى التهذيب قلت : وَقَول أبي عبيد عِنْدِي الصّواب (٦).

ومع هذا الإجماع فى تفسير الزمارة فى الحديث : بالزانية إلا أنه قد نقل فى تفسير معناها فى الحديث وجه آخر ، وهو أن يراد بها المغنية ، ويكون اشتقاق اللفظة من الزَّمْر بمعنى : الصوت ، قَالَ الأَزهري: " وَيَحْتَمِلُ أَن يَكُونَ أَراد الْمُغَنِّيَةَ. يُقَالُ: غِنَاءٌ زَمِيرٌ أَي حَسَنٌ. وزَمَرَ إِذا غَنَّى وَالْقَصَبَةُ الَّتِي يُزْمَرُ بِهَا: زَمَّارَةٌ." (٧) .

---

(١) ينظر : شرح السنة للبغوى ٨ / ٢٣ .

(٢) ينظر : العين ٧ / ٣٦٥ باب الزاى والراء والميم معهما .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ٧ / ٢٧٠ باب الزاى والراء .

(٤) ينظر : النهاية فى غريب الحديث ٢ / ٣١٢ " ز م ر " .

(٥) ينظر : تصحيفات المحدثين ١/ ١٧٨ .

(٦) ينظر : تهذيب اللغة ١٣ / ١٤٢ . باب الزاى والراء .

(٧) ينظر : تهذيب اللغة ١٣ / ١٤٢ . باب الزاى والراء .

ثانيا : عدم معرفة أبى عبيد وجه اشتقاق الزَّمَّارة بمعنى : الفاجرة ، عرفه غيره فنقل العسكرى فى تصحيفات المحدثين عن ابن الْأَعرَابِي : الزَّمِرُ الْحَسَن ، قالَ : وَمن هَذَا قيل للفاجرة زمَّارة لِأَنَّهَا تَزْمُرُ نَفسهَا : تحسنها [١]،

وقال الزمخشرى : فى حديثه صلى الله عليه وسلم : " نهى عَن كسب الزمارة ، قال : وَقيل هِيَ الزَّانِيَة. وَلَا يَخْلُو من أَن يكون من زمَرتُ فلَانًا بِكَذَا وزمَجْتُهُ : إِذا أغريته عَن الْأَصْمَعِي ؛ لِأَنَّهَا تغرى الرِّجَال على الْفَاحِشَة وتولعهم بالإقدام عَلَيْهَا ، أَو من زمر الظبي زمراناً إِذا نفز عَن أبي زيد ؛ لِأَن القحاب موصوفات بالنزق كَمَا أَن الحواصن يوصَفْنَ بالرزانة[٢].

وقال القارى: " أَوْ مِنْ زَمَّرْتُ الْقِرْبَةَ أَيْ مَلَأْتُهَا، فَالزَّانِيَةُ تَمْلَأُ رَحِمَهَا بِنُطَفٍ شَتَّى، أَوْ لِأَنَّهَا تُبَاشِرُ زُمَرًا مِنَ النَّاسِ[٣] .

ثالثا : ما ذهب إليه أبو عبيد من تخطئة لفظ " الرَّمَّازة " بتقديم الراء بمعنى الفاجرة ، فيمكن تعقبه فيه بأن اللغويين قد أجازوا مجيئ لفظة " الرمازة " بتقديم الراء بمعنى المرأة الفاجرة البغى أيضًا ، فأورد ابن قتيبة فى نعوت الخرقاء والفاجرة : " العجوز ، والخريع ، والهلوك ، والمومسة ، والبغيّ ، والعاهرة ، والمعاهرة ، والمسافحة هذا كله الفاجرة ، وهي الرَّمَّازَةُ أيضاً ، ترمز بعينيها [٤].

وقال ابن قتيبة فى الإصلاح :" والرمّازة : الفاجرة ، سُمّيت بذلك لأنَّها ترمز أي: تُومئ بعينيها وحاجبيها وشفتيها....فالرمّازة : صِفَةُ من صفات الفاجرة ، ثم

(١) ينظر : تصحيفات المحدثين ١/ ١٧٨ .

(٢) ينظر : الفائق ٢ / ١٢٢ الزاى مع الميم .

(٣) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥ / ١٩٠٣ .

(٤) ينظر : الجراثيم ١ / ٢٧٩ .

صار اسمًا لها ، أو كالاسم. وكذلك قيل لها: هَلُوك ، لأنَّها تهالك على الفِراش وعلى الرَّجُل ، ثم صار اسْمًا لها دون غيرها من النّساء وإنْ تَهالكت على زَوْجها. وقيل لها: خَرِيع للينها وتَثنّيها، ثم صار ذلك اسمًا لها دون غيرها من النّساء، وإنْ لانَتْ وتثنَّت "[1]

وقد جاءت هذه اللفظة فى الشعر بمعنى الفاجرة من ذلك قول الأخطل :

أحاديثَ سَدّاها ابنُ حَذْراء فَرْقَدُ .. ورَمّازةٌ مالَتْ لمنْ يستَمِيلُها[2]

وَقَالَ شمر: الرَّمّازة هَهُنَا: الْفَاجِرَة الّتي لَا تَرُدُ يَدَ لامِس[3].

وقال فى المحكم : " ورَمَزَتْه المَرأَةُ بعَيْنِها ، تَرْمِزُه : غَمَزَتْه ، وجَارِيَةٌ رَمَّازَةٌ : غَمَّازَةٌ ، وقِيلَ : الرَّمَّازَةُ : الفَاجِرَةُ ، مُشْتَقٌّ من ذلكَ أيضاً [4]. وقال فى الأساس : ونهي عن كسب الرَّمازة وهي : القحبة[5].

(١) ينظر : إصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٦٠ .

(٢) البيت من الطويل للأخطل فى ديوانه ٢٨٥، ولسان العرب ٥ / ٣٥٧ ، وتاج العروس١٥ / ١٦٢ باب الزاى فصل الراء .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ١٣ / ١٤١، و ١٤٢.

(٤) ينظر : المحكم ٩ / ٤٣ الزاى والراء والميم .

(٥) ينظر : أساس البلاغة ١ / ٣٨٥ " ر م ز " .

تعليق واستنتاج

بناء على ما تقدم أرى أنه ليس هناك ما يمنع من جواز تفسير لفظ الرمازة بتقديم الراء بمعنى الزمارة فتكون بمعنى المرأة الفاجرة البغى على ما ارتاه ابن قتيبة مخالفا لأبى عبيد .

٣ـ فـي حـديث النبـيِّ – صـلى الله عليـه وسـلم-:" **لـيس منّـا مـن لم يـتغنَّ بالقرآن**" [١] .

قـال أبـو عبيـد : كـان "سـفيان بـن عيينـة"[٢] يقـول : معنـاه : مـن لـم يسـتغن بـه ، ولا يـذهب بـه إلـى الصـوت ، ولـيس للحـديث عنـدي وجـه غيـر هذا[٣] .

الدراسة والتحليل

قولـه " يـتغنَّ بـالقرآن " كثـر اختلـف العلمـاء فـى تحديـد دلالتـه وتأويلـه ويمكن إجمال اختلافهم فيه على مذهبين:

المذهب الأول : أن المراد بقولـه " يتغنَّ " فـى الحديث " يستغنى " وهو قول سفيان ابن عيينة[١] ، ووكيع بن الجراح[٢] ، واختاره أبو عبيد وطائفة منهم : الطحاوى[٣] ، ، والزمخشرى[٤] ، والقرطبى[٥] .

---

(١) الحديث فى : مصنف ابن أبى شيبة ٢ / ٢٥٧ ، ومسند أحمد ٣ / ٧٥ ، غريب الحديث لأبى عبيد ٢/ ١٦٩ ، وسنن الدارمى ١ / ٣٧٤ ، وصحيح البخارى ٩ / ١٥٤ ، والغريبين للهروى ٣ / ٨٤٦ .

(٢) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى محدث فقيه مفسر كان أعلم أهل عصره بالسنن توفى ١٨٩هـ . ينظر ترجمته فى : وفيات الأعيان ٢ / ٣٩١ ، ومعجم المفسرين ٢١٢/١ .

(٣) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٢/ ١٦٩ .

وقد استدل أبو عبيد لاختياره هذا بعدة أمور :

أولاً : مجيئ " يتغنَّ " مفسرًا بمعنى الاستغناء فى عدة أحاديث منها :

١ ـ حديث عبد الله بْن نَهيك ، أَو ابْن أبي نهيك ، أَنه دخل على سعد وَعِنْده مَتَاع رَثّ ، وَمِثَال رَثّ ، فَقَالَ : قَالَ رَسُول الله صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم : لَيْسَ منا من لم يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ(٦) ، قَالَ أَبُو عبيد ـ فى وجه استدلاله بهذا الحديث ـ : فَذكره رثاثة الْمَتَاع والمثال عِنْد هَذَا الحَدِيث يبينك أَنه إِنَّمَا أَرَادَ الِاسْتِغْنَاء بِالْمَالِ الْقَلِيل.

٢ ـ حَدِيث عبد الله " من قَرَأَ سُورَة آل عمرَان فَهُوَ غَنِي "(٧). وَعنهُ أيضا أنه قَالَ : " نعم كنز الصعلوك سُورَة آل عمرَان يقوم بهَا من آخر اللَّيْل"(٨) .

٣ ـ ومِنْه حَدِيثه الآخر: " من قَرَأَ الْقُرْآن فَرَأى أَن أحدًا أعْطى أفضل مِمَّا أعْطى فقد عظم صَغِيرًا وَصغر عَظِيما "(٩)

وَمعنى الحَدِيث: لَا يَنْبَغِي لحامل الْقُرْآن أَن يرى أحدًا من أهل الأَرْض أغْنى مِنْهُ وَلَو ملك الدُّنْيَا برحبها". قَالَ أَبُو عبيد : فَأرى الْأَحَادِيث كلهَا إِنَّمَا دلّت على الِاسْتِغْنَاء(١).

---

(١) ينظر : معالم السنن ١/ ٢٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١ /١٣ .

(٢) ينظر : سنن أبى داوود ٢ / ٥٩٨ ، و كشف المشكل ٣/ ٣٦٨ ، وفتح البارى ٦٨/٩ .

(٣) ينظر : شرح مشكل الآثار ٣/ ٣٤٧ .

(٤) ينظر : الكشاف ٢/ ٥٨٨ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١ / ١١ .

(٦) ينظر الحديث فى : سنن أبى داوود ٢/ ٥٩٧ ، و الفائق ٢ / ٣٦ ، والنهاية ٢ / ١٩٥

(٧) حديث ابن مسعود فى مصنف الإمام عبد الرزاق ٣ / ٣٧٤ ، وفتح البارى ٩ / ٧٠

(٨) الحديث فى شعب الإيمان ٤ / ١٩١ ، والفائق ٢ / ٣٧ .

(٩) ينظر : معانى القرآن للنحاس ٤ / ٤١ ، وفيض القدير للمناوى ٦ / ٧٥ .

ثانياً : استدل ابو عبيد لمذهبه أيضًا بمجيىء تغنَّيتُ بمعنى : اسْتغْنَيتُ فى كلام العرب وأشعارهم ، فهم يَقُولُون : تَغَنَّيْت تغَنِّيا ، وَتَغَانَيْت تَغَانِيًا[٢] : يَعْنِي اسْتَغْنَيْت ، قَالَ الْأَعْشَى:

وَكنتُ امْرَأ زَمَنًا بالعِرَاقِ ∴ عَفيفَ المُنَاخِ طويلَ التَّغَنْ[٣]

يُرِيد الِاسْتِغْنَاء أَو الْغنى ، وَقَالَ الْمُغيرَة بْن حبناء التَّمِيمِي[٤] يُعَاتب أَخا لَهُ :

كِلَانَا غنى عَن أخِيه حَيَاتَه ∴ وَنحن إِذا متْنا أشد تَغَانِيًا[٥]

يُرِيد أَشد اسْتغْنَاءً .

ثالثا : يرى أبو عبيد أنه لو كان المراد بالتغنى فى الحديث : الترجيع بِالْقِرَاءَةِ وَحسن الصَّوْت ، لكَانَتْ الْعقُوبَة قد عظمت فِي ترك ذَلِك أَن يكون : من لم يرجع صَوته بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ من النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام حِين قَالَ : " لَيْسَ منا من لم يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ وَهَذَا لَا وَجه لَهُ " ومن هذا الوجه رجح الطحاوى مذهب أبى عبيد فقال : " وَوَجَدْنَا مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ بِغَيْرِ تَحْسِينٍ مِنْهُ لَهُ صَوْتَهُ مُرِيدًا بِقِرَاءَتِهِ إِيَّاهُ الْأَحْوَالَ

---

(١) غريب أبى عبيد ٢ / ١٧٠ وما بعدها .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة ٨ / ١٧٤ ، باب الغين والنون ، و البارع ١ / ٤٢١ الغين والراء والباء فى الثلاثى الصحيح .

(٣) البيت من المتقارب للأعشى فى ديوانه ص ٢٥ ، و الزاهر ٢ / ٥ ، والمجموع المغيث ٥٨٢/٢ .

(٤) هو المغيرة بن ربيعة أبو عيسى التميمى ، وحبناء أمه نسب إليها ، كان شاعرا للمهلب بن أبى صفرة وأولاده . ينظر ترجمته فى : معجم الشعراء ٣٦٩ .

(٥) البيت من الطويل للمغيرة بن حبناء فى الزاهر ٢ / ٥ ، وديوان الأدب ٤ / ١٣٨ ، والمقاييس ٤ / ٣٩٨ ، باب الغين والنون وما يثلثهما ، وفتح البارى ٩ / ٦٩ .

الْمَحْمُودَةَ ، مُثَابًا عَلَى ذَلِكَ غَيْرَ مَذْمُومٍ عَلَيْهِ ، فَعَقَلْنَا بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُرَادُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: " مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ " هَذَا الْمَعْنَى "(١) .

المذهب الثانى : أن المراد بقوله " يتغنَّ " فى الحديث هُوَ تَحْسِينُ الصَّوْتِ وترجيعه وَتَحْزِينُهُ وتطريبه، لأَنَّهُ أَوْقَعُ فِي النُّفُوسِ، وَأَنْجَعُ فِي الْقُلُوبِ.

وبهذا الرأى قالت طائفة من العلماء ، قال القرطبى : " وَمِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ وأصحابه والشافعي ، وابن المبارك والنضر بْنُ شُمَيْلٍ(٢)، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ(٣) وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ بَطَّالٍ،وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرِهِمْ "(٤)

قال ابن كثير :

" وَالْمُرَادُ مِنْ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ : تَطْرِيبُهُ وَتَحْزِينُهُ وَالتَّخَشُّعُ بِهِ..... وَالْغَرَضُ : أَنَّ الْمَطْلُوبَ شَرْعًا إِنَّمَا هُوَ التَّحْسِينُ بِالصَّوْتِ الْبَاعِثِ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمِهِ ، وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالإِنْقِيَادِ لِلطَّاعَةِ ، فَأَمَّا الأَصْوَاتُ بِالنَّغَمَاتِ الْمُحْدَثَةِ الْمُرَكَّبَةِ عَلَى الأَوْزَانِ وَالأَوْضَاعِ الْمُلْهِيَةِ وَالْقَانُونِ الْمُوسِيقَائِيِّ، فَالْقُرْآنُ يُنَزَّهُ عَنْ هَذَا وَيُجَلُّ " (٥) .

تعليق واستنتاج

(١) ينظر : شرح مشكل الآثار ٣/ ٣٤٧ .

(٢) ينظر : عمدة القارى ٢٠ / ٤١ .

(٣) ينظر : شرح صحيح البخارى لابن بطال ١٠ / ٢٦١ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١ / ١١ .

(٥) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٤ .

الذى أراه هنا هو تصويب الرأى القائل بأن المراد بالتغنى فى الحديث هو ترجيع الصوت وتحسينه لا ما اختاره أبو عبيد ؛ لأن ما ذهب إليه أبو عبيد واختاره يمكن رده من عدة وجوه على النحو التالى :

أولا : لو كان المراد بالتغنى فى الحديث الاستغناء على ما فسر أبو عبيد لقال فى الحديث " من لم يستغنى "، فلما قال " من لم يتغن " علم أن المراد به تحسين الصوت ، وهو قول الشافعى واستدلاله . (١) ، فقد أخرج البيهقى فى سننه قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ يَعْقُوبَ يَقُولُ: سَمِعْتُ الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ " ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: لِيَسْتَغْنِيَ بِهِ؟ فَقَالَ: " لَا ، لَيْسَ هَذَا مَعْنَاهُ ، مَعْنَاهُ: يَقْرَؤُهُ حَدْرًا وَتَحْزِينًا " (٢).

ثانياً : أن سياق الحديث يدل على المراد بالتغنى : الصوت وترجيعه وتحزينه ، لا الاستغناء كما ذهب أبو عبيد ، ومما يدعم ذلك تفسير التغنى فى روايات أخرى بقوله " يجهر به " ، ومنها ما جاء فى رواية: " ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به "(٣) فقوله: " يجهر به " صريح فى أن المراد بالتغنى : الصوت الحسن ، قال الخازن: والقول الأول أولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله " يجهر به "(٤).

(١) ينظر : شرح صحيح البخارى لابن بطال ١٠ / ٢٦٠ .

(٢) ينظر : السنن الكبرى للبيهقى ١٠ / ٣٨٩ .

(٣) ينظر الرواية فى : سنن أبى داوود ٢/ ٧٥ .

(٤) ينظر : لباب التأويل فى معانى التنزيل " تفسير الخازن " ١/ ٦ .

ثالثاً : ليس هناك ما يمنع من حمل التغنى على ترجيع الصوت وتحسينه لأن كل من رفع صوته ووالى به فصوته عند العرب يسمى : غناء[١] ، قال الخطابى : " وأكثره فيما شاقَ من صَوْتٍ أَوْ شجَا من نَغْمَةٍ ولَحْنٍ ولذلك قِيلَ : غَنَّت الحمامةُ ، وتغنى الطائرُ[٢].وقال ابن حجر: فَأَطْلَقَ عَلَى صَوْتِهَا غِنَاءً لِأَنَّهُ يُطْرِبُ كَمَا يُطْرِبُ الْغِنَاءُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غِنَاءً حَقِيقَةً "[٣] .

رابعاً : استفاضة الأحاديث التى يفهم منها دلالة التغنى بالصوت والتى منها :

أ ـ ما روى من قوله "ما أَذِنَ الله تَعالَى لشَيء أَذَنَه لنَبيٍّ حَسَن الصَّوتِ يتغَنَّى بالقُرآنِ يَجهَر به"[٤] " وفى رواية : (ما أذن الله لشىء ما أذن لنبي حسن الترنم بالقرآن) ، قال الطبرى : فى وجه استدلاله بهذه الرواية : " ومعقول عند ذوى الحجا أن الترنم لا يكون إلا بالصوت إذا حسنه المترنم وطرب به. "[٥]

ب ـ ما رواه البيهقى عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَلَّهُ أَشَدُّ أَذَنًا لِلرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ "[٦]

ج - ومنها ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم (زينوا القرآن بأصواتكم)[٧]

---

(١) ينظر : مشارق الأنوار ٢/ ١٣٧ .

(٢) ينظر : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ٣ / ٥٩٨ .

(٣) ينظر : فتح البارى ٩ / ٧٠ .

(٤) ينظر : مصنف ابن أبى شيبة ٢ / ٢٥٧ ، وصحيح البخارى ٦ / ١٩١ ، وسنن أبى داوود ٢ / ٥٩٨ ، المجموع المغيث ٢ / ٥٨٢ .

(٥) ينظر : شرح صحيح البخارى لابن بطال ١٠ / ٢٦١ .

(٦) ينظر : سنن ابن ماجه ٢ / ٣٦٥ .

(٧) ينظر : سنن أبى داوود٢ / ٥٩٤ .

د ـ ما روى عن ابن أبى مليكة قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ " فَقُلْتُ لِابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْتٌ وَلَمْ يُحَسِّنْ؟ قَالَ: يُحَسِّنُهُ مَا اسْتَطَاعَ "[1]

فالمدار إذن كما يفهم من هذه الأحاديث والروايات كلها هو : السماع ولا يكون السماع إلا عن الصوت وتحسينه ، وهو الذى يؤدى إلى الخشية . يقول الدكتور موسى شاهين لاشين : وسياق الحديث يأبى الحمل على الاستغناء، لأن قوله في الرواية الثانية: "لنبي حسن الصوت". وفي الرواية الثانية والثالثة: "يجهر به"[2]. قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول معينة للمعنى الثاني "[3]

خامسا : استدلال أبى عبيد لمذهبه ببيت الأعشى لا يسلم له ، فليس المراد به الاستغناء على ما فسر ، بل يريد طول الإقامة .

(١) ينظر : شرح مشكل الآثار ٣ / ٣٥٠ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لابن الجوزى ٢ / ١٦٥ .

(٣) ينظر : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ٣ / ٥٩٨ .

قال ابن حجر :

" فَإِنَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ طَوِيلُ التَّغَنِّي : طُولَ الْإِقَامَةِ لَا الِاسْتِغْنَاءَ لِأَنَّهُ أَلْيَقُ بِوَصْفِ الطَّوِلِ مِنَ الِاسْتِغْنَاءِ يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ مُلَازِمًا لِوَطَنِهِ بَيْنَ أَهله كَانُوا يتمدحون بذلك "(١)

كما أن استدلاله ببيت المغيرة منقوض بأن التغانى : تفاعل من نفسين، إذا استغنى كل واحد منهما عن صاحبه كما يقال : تضارب الرجلان : إذا ضرب كل واحد منهما صاحبه، وتشاتما وتقاتلا ، ومن قال هذا القول فى فعل اثنين لم يجز أن يقول مثله فى فعل الواحد، وغير جائز أن يقال : تغاني زيد وتضارب عمرو، وكذلك غير جائز أن يقال : تغنى زيد بمعنى استغنى، إلا أن يريد قائله أنه أظهر الاستغناء وهو به غير مستغن ، كما يقال: تجلد فلان : إذا أظهر الجلد من نفسه وهو غير جليد، وتشجع وهو غير شجاع ، وتكرم وهو غير كريم ، فإن وجه موجه التغنى بالقرآن إلى هذا المعنى على بعده عن مفهوم كلام العرب كانت المصيبة فى خطابه فى ذلك أعظم ؛ لأنه لا يوجب ذلك من تأويله أن يكون الله تعالى لم يأذن لنبيه أن يستغنى بالقرآن ، وإنما أذن له أن يظهر للناس من نفسه خلاف ما هو به من الخلال ، وهذا لا يخفى فساده "(٢).

سادسًا : مفهوم استدلال أبى عبيد بحديث سعد الذى فيه " رث المتاع والمثال " يوهم حمل معنى التغنى على الاستغناء الذى هو ضد الفقر ، وهو قصر لمفهوم الاستغناء ، حيث فسر الاستغناء فى الحديث أيضا بالاستغناء عن أخبار الأمم الماضية لذا قال فى الفتح : " فَالْمُرَادُ بِالْآيَةِ الِاسْتِغْنَاءُ عَنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ

(١) ينظر : فتح البارى ٩ / ٧٠ .

(٢) ينظر : شرح صحيح البخارى لابن بطال ١٠ / ٢٦١ ، ٢٦٢ .

وَلَيْسَ الْمُرَادُ الِاسْتِغْنَاءَ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْفَقْرِ قَالَ وَإِتْبَاعُ الْبُخَارِيِّ التَّرْجَمَةَ بِالْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ "(١).

سابعاً : استدلال أبى عبيد لمذهبه بقوله " لو كان المراد بالتغنى فى الحديث الترجيع بِالْقِرَاءَةِ وَحسن الصَّوْت لكَانَتْ الْعقُوبَة قد عظمت فِي ترك ذَلِك أَن يكون : من لم يرجع صَوته بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ من النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام " يمكن الرد عليه بما قال الكجراتى : "وأقول: يمكن كون معناه: ليس منا معشر الأنبياء ممن يحسن صوته ويسمع الله منه، بل يكون من جملة من هو نازل عن مرتبتهم "(٢).

ثامنا : روى فى تفسير التغنى فى الحديث وجه آخر نقله الخطابى عن ابن الأعرابى وهو: إن العربَ كانت تتَغَنَّى بالرُّكْبانيِّ(٣) إذا رَكِبَت الإبلَ، وإذا جَلَست في الأَفْنِيَة، وعلى أكثر أحوالِهَا؛ فلَمَّا نزلَ القرآنُ أحبَّ النبيُّ – صلّى الله عليه وسلّم – أن يكون هِجِّيراهُم القُرآنَ مَكَانَ التَّغَنِّي بالرُّكْبَانيّ(٤). فعلى اعتماد هذه الوجه فى تفسير الحديث فلا دلالة فيه إلا على الصوت وتحسينه ، لاعلى ما فسره أبو عبيد . فيكون أمرا بترتيل القرآن وجعله مكان الغناء الذى كانت تستعمله العرب فى سيرها وجلوسها، وأكثر أحوالها. (٥) .

(١) ينظر : فتح البارى ٩ / ٦٨ ، شرح صحيح البخارى لابن بطال ١٠ / ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٢) ينظر : مجمع بحار الأنوار ٤/ ٧٠ .

(٣) وهو النشيد بالتمطيط والمد ينظر " غريب الخطابى ١ / ٣٥٨ .

(٤) ينظر : غريب الحديث للخطابى ١ / ٣٥٨ ، والمجموع المغيث ٢ / ٥٨٢ .

(٥) ينظر : إكمال المعلم للنووى ٣ / ١٥٨ .

تاسعا : أن أبا عبيدة نفسه قد فسر قوله صلى الله عليه وسلم : " " مَا أذن الله لشَيْء أذْنَه لنَبِيّ يتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ أَن يجْهر بِهِ "[١] بأن " أذِن " فى الحديث بمعنى استمع ، وتفسيرها بذلك مع مجيئ التغنى فى الحديث لا يمكن حمله على الاستغناء أبدًا ، بل يحمل على تحسين الصوت به وترتيله وتحزينه وهو الأولى .

٤- فِي حَدِيث ابْن عَبَّاس أَن رجلاً قَالَ لَهُ : مَا هَذِه الفُتيا الَّتِي قد شَغَبَتَ النَّاس" [٢] .

قال أبو عبيد : ويروى: شَعَبت – بِالْعينِ وَمَعْنَاهَا : فرَّقت ، قَالَ أَبُو عبيد : وَهُوَ عِنْدِي كَمَا قَالَ حجاج بِالْعينِ ، قَالَ الْأَصْمَعِي: وَيُقَال: شَعَبَ الرَّجُلُ أمْرَه : إذا شَتَّتَه وفَرَّقه.... قَالَ أَبُو عبيد: وَإِنَّمَا قَالَ شُعْبَة : شَغَبَت النَّاس ؛ لِأَنَّهُ ذهب إِلَى الشغْب فِي الْكَلَام وَالْعين أحب إليّ . [٣]

الدراسة والتحليل

مضمون الفتيا التى أفتاها ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ فى هذا الحديث: " أَنَّ مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ فَقَدْ حَلَّ ، ومعناها : أَن الْحَاج يتَحَلَّل بِمُجَرَّد طواف الْقدوم[٤] .

---

(١) الحديث فى صحيح البخارى ٦ / ١٩١ بلفظ" لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ» وعند مسلم ١ / ٥٤٥ ، مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ» وكذا فى سنن أبى داوود ٢/ ٧٥" ومسند البزار ١٥ / ١٨٦ .

(٢) ينظر الحديث فى : مسند أحمد ٥ / ٢٦١ ، و مسند البزار ١١ / ٤٥٧ ، و وصحيح مسلم ٢ / ٩١٢ ، و مشارق الأنوار ٢ / ١٦٤ .

(٣) ينظر : غريب الحديث ٤ / ٢١٢ وما بعدها .

(٤) ينظر : شرح السيوطى على صحيح مسلم ٣ / ٣٤٠ .

قال النووى :

"هذا الذي ذكره بن عَبَّاسٍ هُوَ مَذْهَبُهُ ، وَهُوَ خِلَافُ مَذْهَبِ الْجُمْهُورِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ ، فَإِنَّ الَّذِي عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ كافة سوى ابن عَبَّاسٍ ، أَنَّ الْحَاجَّ لَا يَتَحَلَّلُ بِمُجَرَّدِ طَوَافِ الْقُدُومِ ، بَلْ لَا يَتَحَلَّلُ حَتَّى يَقِفَ بِعَرَفَاتٍ وَيَرْمِيَ وَيَحْلِقَ ، وَيَطُوفَ طَوَافَ الزِّيَارَةِ ، فَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ التَّحَلُّلَانِ ، وَيَحْصُلُ الْأَوَّلُ بِاثْنَيْنِ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي هِيَ : رَمْيُ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ وَالْحَلْقُ وَالطَّوَافُ "[١] .

وقد تعددت الروايات فى الحديث المتقدم وقد أورد ابن الجوزى فيها ست روايات[٢] ، وبالبحث حول هذه اللفظة وجدت أنها تُروى على أحد عشر وجهًا على النحو التالى :

الوجه الأول : شَعَبَت . بفتح الشين والعين والباء بلا تشديد . وهى رواية الأزهرى[٣]، والهروى[٤]وابن الأثير[٥]

الوجه الثانى : شَعَّبَت بتشديد العين وهى رواية ابن فارس[٦]

الوجه الثالث : تَشَعَّبت . بالعين المشددة ـ وهذه الرواية هى رواية الإمام أحمد[٧] والبزار[٨]

---

(١) ينظر : شرح النووى على صحيح مسلم ٨ / ٢٣٠ .

(٢) ينظر : كشف المشكل لابن الجوزى ٢ / ٣٥١ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ١ / ٢٨١ باب العين والشين .

(٤) ينظر : الغريبين ٣ / ١٠٠٦ .

(٥) ينظر : النهاية ٢ / ٤٧٧ .

(٦) ينظر : المقاييس ٣ / ١٩٢ " ش ع ب " .

(٧) ينظر : مسند أحمد ٥ / ٢٦٠ .

(٨) ينظر : مسند البزار ١١ / ٤٥٧ .

وهذه الروايات الثلاث محمولة على أنها مشتقة من الشعب وهو التفرق ففى العين : " وشَعَبَ الرجل أمره: فرَّقه[١]. وروى الأزهرى عن الأصمعى : شعبَ الرجلُ أمرَه ، إذا فرَّقَه وشتَّته." [٢] ، وعلى هذه الروايات الثلاث يكون المعنى فى الحديث : ما هذه الفتيا التى فرقت الناس وجعلتهم يختلفون فى أمرهم .

الوجه الرابع : تَشَغَّفَت[٣] بفتح الشين وتشديد الغين وفتح الفاء ، أَي حلت شغَاف قُلُوبهم فشغلتها ، أو علقت بقلوب الناس وشغفوا بحبها أي جذبوا لموافقتها هواهم بالتخفيف عليهم[٤] ومنه قوله تعالى " قد شغفها حبًّا [٥]

الوجه الخامس : تَفَشَّغَت [٦] النَّاس ، وَالْمعْنَى: كثرت وفشت فيهم ، ففى الجمهرة : " " والفَشْغ: اتّساع الشَّيْء وانتشاره ، انفشغ انفشاغاً وتفشّغ تفشّغاً، إذا اتّسع وانتشر[٧].، ففى اللسان : وَيُقَالُ: تَفَشَّغَ فِي بَنِي فُلَانٍ الخيرُ إِذَا كَثُرَ وَفَشَا. وتَفَشَّغَ لَهُ وَلَدٌ: كَثُرَ. وتَفَشَّغَ فِيهِ الدَّمُ أَي غلَبه وتَمَشَّى فِي بَدَنِهِ [٨]".

(١) ينظر : العين ١ / ٢٦٣ .باب العين والشين والباء معهما .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة ١ / ٢٨١ .باب العين والشين مع الباء .

(٣) ينظر الرواية فى : مسند أحمد ٥ / ٢٦٠ ، وصحيح مسلم ٢ / ٩١٢ ، و مشارق الأنوار ٢ / ١٦٤ .

(٤) ينظر : شرح النووى على مسلم ٨ / ٢٢٩ ، والكوكب الوهاج ١٤ / ١٥٦

(٥) من الآية ٣٠ فى سورة يوسف .

(٦) الرواية فى : مسند احمد ٤ / ٣١٠ ، الفائق ٣ / ١٢٠ ، ومطالع الأنوار لابن قرقول ٥ / ٢٦٩ ، والنهاية ٣ / ٤٤٨ .

(٧) ينظر : جمهرة اللغة ٢ م ٨٧٣ .باب الشين والغين وما بعدهما من الحروف .

(٨) ينظر : لسان العرب ٨ / ٤٤٧ باب الغين فصل الفاء ؟

الوجه السادس : تفشعت[١] : وهى رواية القاضى عياض ، ومعنى الكلمة على هذه الرواية : فشت وانتشرت، لأنه يقال : تفشع له الولد : إذا كبر وانتشر ، قد يكون معنى ذلك كسلت الناس عن المتعة. قال الفراء: التفشغ والفشاغ : الكسل ، أو يكون معناها: أفسدت حال الناس بوقوع الخلاف بينهم؛ من الفشاع، وهو نبات يلتوى على الثمار[٢].

الوجه السابع : شَغَبَت : بفتح الشين والغين والباء وهى رواية شعبة[٣] ، و الميورقى [٤]، و ابن الأثير [٥].

الوجه الثامن : تشغبت : وهى رواية الأمام مسلم فى صحيحه[٦] ، و أبو عوانه[٧] ومعنى الروايتين على هذا : أى أوجبت الشغب وَالِاخْتِلَاف بَينهم ، مأخوذة من الشَّغْب بسكون الغين : وهو تَهيِيج الشَّرِّ والفِتْنة وَالْخِصَامِ .

الوجه التاسع : تفشت : وهى رواية الطحاوى شرح معانى الآثار. [٨] ومعناها : كثرت وانتشرت ، قال الخليل : " فشا الشَّيءُ يفشو فُشُوّا إذا ظهر، وهو عامٌّ في كلِّ شيءٍ "[٩]

---

(١) ينظر الرواية هكذا فى مستخرج أبى عوانة ٢ / ٣٠٣ .

(٢) ينظر : مشارق الأنوار ٢ / ١٦٤ ، وإكمال المعلم ٤ / ٣٢٣ .

(٣) ينظر الرواية هكذا عن شعبة فى مسند أحمد ٥ / ٢٦١ .

(٤) ينظر : تفسير غريب ما فى الصحيحين ١ / ١٥٦ .

(٥) ينظر : النهاية ٢ / ٤٨٢ .

(٦) ينظر الرواية فى صحيح مسلم ٢ / ٩١٢ .

(٧) ينظر الرواية هكذا فى مستخرج أبى عوانة ٢ / ٣٠٣ .

(٨) ينظر : شرح معانى الآثار ٢/ ١٨٩ .

(٩) ينظر : العين ٤ / ١٥٠ باب الشين والفاء .

الوجه العاشر : تَشَغَّيت وهى رواية البزار فى المسند[١] وأراها مأخوذة من الشغا وهو اخْتِلَاف نبتة الْأَسْنَان بالطول وَالْقصر وَالدُّخُول وَالْخُرُوج[٢] ، فيكون معناها فى فى الحديث : اختلف الناس فيها .

الوجه الحادى عشر : شِيعَتْ بالناس : بالشين ثم الياء والعين ، وهى رواية أبى عوانه فى مستخرجه[٣] ولعلها مشتقة من شاع الخبر إذا انتشر[٤] .

تعليق واستنتاج

مما تقدم نجد اختلافًا فى رواية هذا الحديث فى لفظ " شَعَبت النَّاس " وأن ما ذهب إليه أبو عبيد واختاره هو اعتماد الرواية بالعين " شعبت " دون غيرها من الروايات ، من غير أن يقدم لنا دليلاً على هذا الترجيح وذلك الاختيار ، وهو فى اختياره هذا جار مع ما تعطيه دلالة لفظة " شَعَبَتْ " على التفرق من الناحية اللغوية .

ومع هذا فإنه بإمعان النظر فى جملة روايات هذه اللفظة يبدو لى مخالفة أبى عبيد فى اختياره ، وأن الأولى حمل معناها على : الفشو والانتشار والظهور وهذا أمر مقبول لغويًا ، فكل رواية منها لها سند لغوى تعتمد عليه . وتفسير ذلك أن هذه الفتوى من ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قد ذاع صيتها وانتشرت فى أوساط الناس انتشار النار فى الهشيم ، مما أدى إلى تفرقهم واختلافهم فيها ما بين مثبت ومنكر ، ومما يدعم ذلك أن تفسير اللفظة فى جل الرويات يرجع لمعنى الانتشار

(١) ينظر الرواية هكذا فى مسند البزار ١١ / ٤٥٧ .
(٢) ينظر : المحكم ٦ / ٣٣ .
(٣) ينظر الرواية هكذا فى مستخرج أبى عوانة ٢ / ٣٠٣ .
(٤) ينظر : مقاييس اللغة ٣ / ٢٣٥ ش ي ع " .

والظهور ، وهذا ما استشفه الأمين العلوى من كلام النووى على هذه اللفظة فقال : وكأن النووي أراد إرجاع الكل إلى معنى الفشو" [١] وهو الذى أراه صحيحًا .

(١) ينظر : الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ١٤ / ١٥٧ .

المبحث الرابع
فى العموم والخصوص الدلالى

توطئة :

اللغة كائن عرضة للتغيير والتطور ، فألفاظ اللغة لا تبقى على حالة واحدة فى الاستعمال ولكنها معرضة للتطور ، ومن أهم مظاهر التطور الدلالى فى العربية التعميم والتخصيص الدلاليين .

ويعنى بعموم الدلالة : تحول دلالة اللفظة اللغوية من معنى خاص ضيق إلى معنى عام أوسع وأشمل .

ويقصد بالتخصيص : تقليص مجال دلالة اللفظة فى الاستعمال[١] .

وفيما يلى دراسة لاختيارات أبى عبيد فيما يتعلق بهذه الظاهرة مما كان الخلاف فيه دائر بين القول بعموم دلالة اللفظة فى الحديث أو تخصيصها ، فأقول وبالله التوفيق :

(١) ينظر : مقال بعنوان مظاهر التطور الدلالى د / محمد داوود على الشبكة العنكبوتية .

١ ـ فِي حَدِيثه عَلَيْهِ السَّلَام " **لِأَن يمتلئ جَوف أحدكُم قَيْحا حَتَّى يرِيه خير لَهُ من أن يمتلئ شعرًا** "[١]

قَال أَبُو عبيد : وَسمعت يزِيد يحدث بِحَدِيث أَن النَّبِيّ صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم قَالَ : لِأَن يمتلئ جَوف أحدكُم قَيْحا حَتَّى يرِيه خير لَهُ من أَن يمتلئ شعرًا . يَعْنِي : من الشّعْر الَّذِي هجى بِهِ النَّبِيّ صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَالَّذِي عِنْدِي فِي هَذَا الحَدِيث غير هَذَا القَوْل ؛ لِأَن الَّذِي هجى بِهِ النَّبِيّ صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم لَو كَانَ شطر بَيت لَكَانَ كفرًا ، فَكَأَنَّهُ إِذا حمل وَجه الحَدِيث على امتلاء الْقلب مِنْهُ ، أَنه قد رخص فِي الْقَلِيل مِنْهُ ، وَلَكِن وَجهه عِنْدِي أَن يمتلئ قلبه من الشّعْر حَتَّى يغلب عَلَيْهِ فيشغله عَن الْقُرْآن وَعَن ذكر اللَّه فَيكون الْغَالِب عَلَيْهِ من أَي الشّعْر كَانَ ، فَإِذا كَانَ الْقُرْآن وَالْعلم الغالبين عَلَيْهِ فَلَيْسَ جَوف هَذَا عندنَا ممتلئًا من الشّعْر[٢].

الدراسة والتحليل

يتضح من نص أبى عبيد المتقدم الاختلاف فى تفسير المراد بلفظة " الشعر فى قوله صلى الله عليه وسلم " خير له من أن يمتلأ شعرًا " ، فذهب بعض

(١) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ١/ ٣٤ ، ومسند أحمد ٣ / ٩٦ ، وصحيح ابن حبان ١٣/ ٩٣ ، والسنن الكبرى للبيهقى ١٠ / ٤١٣ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ١ / ٣٤ . ٣٦ .

العلماء إلى أن المراد بالشعر هنا : هو ذلك الشعر الذى هجى به النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو قول الشعبى [١] ويروى أيضا عن عائشة رضي الله عنها[٢]. "

وهذا الوجه رفضه أبو عبيد هنا ذاهبًا إلى أن المراد بامتلاء القلب من الشعر هو غلبة الشعر على قلب المرء حتى يشغله عن القرآن والعلم ، لأنه إذا فُسِّرَ الشعر بأنه الشعر الذى هجى به النبى ففيه دلالة على ترخيص القليل منه وهذا غير مراد

ويتضح من هذا أن الخلاف بين المذهبين دائر حول تخصيص لفظ الشعر بنوع من الشعر خاصة ، أو القول بعموم دلالتها لتشمل كل ما يقال فيه أنه شعر . فالخلاف فى لفظة " الشعر بين العموم والخصوص الدلالى .

تعليق واستنتاج

الذى أراه هنا أن كلا الرأيين يمكن قبوله واعتماده فى تأويل معنى الحديث على النحو التالى :

أولاً : من ذهب إلى القول بأن المراد بالشعر فى الحديث : هو ذلك النوع الخاص منه والذى هجى به رسول الله صلى الله عليه وسلم له ما يؤيده من ذلك :

١ ـ ما رواه الطحاوى عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حيث قيل لها : إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا. فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يَرْحَمُ اللهُ أَبَا هُرَيْرَةَ ، حَفِظَ أَوَّلَ الْحَدِيثِ وَلَمْ يَحْفَظْ آخِرَهُ ، إِنَّ الْمُشْرِكِينَ

(١) ينظر قوله فى : الفائق ٣/ ٢٣٨ .

(٢) ينظر : عمدة الكتاب لأبى جعفر النحاس ١/ ٣٤ .

كَانُوا يَهْجُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا» ، مِنْ مُهَاجَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (١)

فهذا نص صريح فى تفسير المراد بالشعر المنهى عنه فى الحديث وهو ذلك الشعر الخاص بهجائه صلى الله عليه وسلم ، وهذا النص يقضى بتخصيص دلالة لفظة الشعر فى الحديث وقصرها على ذلك النوع منه والذى جاء فيه هجاؤه صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ أن هناك أحاديث كثيرة تثبت سماعه صلى الله عليه وسلم للشعر واستحسانه له وإثابة قائله ، منها قوله "إن من البيان سحرًا وإن من الشعر حكمة "(٢) وقوله : "«إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَ حَسَّانَ مَا نَافَحَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٣) ، وما روى عن عائشة رضى الله عنها وقد سئلت : أَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَثَّلُ بِشَيْءٍ مِنَ الشِّعْرِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ ، مِنْ شِعْرِ ابْنِ رَوَاحَةَ "(٤) ما روى عن جابر بن سمرة قال: "جالست النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت فربما تبسم معهم"(٥).

(١) ينظر : شرح معانى الآثار ٤ / ٢٩٦ .
(٢) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ١ / ٣٠١ برقم ٨٧٢ .
(٣) أخرجه أبو داوود فى سننه عن عائشة رضى الله عنها ٤ / ٣٠٤ برقم٥٠١٥ .
(٤) ينظر : شرح معانى الآثار للطحاوى ٤ / ٢٩٧ .
(٥) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٣٤ / ٤٣٦ .

٣ ـ أن الصحابة والتابعين ، استشهدوا به في كتاب الله تعالى، منهم ابن عباس كما روى أبو داود الطيالسي عن مسمع قال: سمعت عكرمة قال: كان ابن عباس إذا سئل عن شيءٍ من أمر القرآن أنشد فيه شعراً من أشعارهم(١).

فهذا كله دليل على ترخيصه صلى الله عليه وسلم للشعر وإجازته له ، وعليه يحمل النهى فى الحديث على هذا النوع المخصوص من الشعر وهو الذى فيه هجاؤه صلى الله عليه وسلم .

وقد رد السهيلى اسْتِشْكَالَ أَبِي عُبَيْدٍ بأن الذى هجى بِهِ النَّبِيّ صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم لَو كَانَ شطر بَيت لَكَانَ كفرًا ، فقال : " وَعَائِشَةُ أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَإِنَّ الَّذِي يَرْوِي ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ لَا يَكْفُرُ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ الَّذِي ذَمُّوا بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "(٢) .

ثانيا : ما ذهب إليه أبو عبيد من تأويل معنى الحديث على امتلاء القلب من الشعر وغلبته على صاحبه بحيث يشغله عن القرآن والعلم ، فهو رأى له وجاهته أيضًا ، واستحسنه كثير من أهل العلم قال ابن حجر : " وَيُؤَيِّدُ تَأْوِيلَ أَبِي عُبَيْدٍ مَا أَخْرَجَهُ الْبَغَوِيُّ فِي مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ وَالْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ فِي مُسْنَدِهِ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ عُمَيْرٍ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَتْحَ وَغَيْرَهَا وَكَانَ شَاعِرًا ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنِي فِي الشِّعْرِ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَزَادَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ امْسَحْ عَلَى رَأْسِي ، قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي ، فَمَا قُلْتُ بَيْتَ شَعْرٍ بَعْدُ ، وَفِي رِوَايَةِ الْحَسَنِ بْنِ سُفْيَانَ بَعْدَ قَوْلِهِ عَلَى رَأْسِي ثُمَّ أَمَرَّهَا عَلَى كَبِدِي وَبَطْنِي وَزَادَ الْبَغَوِيُّ فِي رِوَايَتِهِ فَإِنْ رَابَكَ مِنْهُ شَيْءٌ فَاشْبِبْ بِامْرَأَتِكَ وَامْدَحْ رَاحِلَتَكَ فَلَوْ كَانَ

(١) ينظر : عمدة الكتاب للنحاس ١ / ٣٥ .

(٢) ينظر : فتح البارى لابن حجر ١٠ /٥٤٩ .

الْمُرَادُ الِامْتِلَاءُ مِنَ الشِّعْرِ لَمَا أَذِنَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ بَلْ دَلَّتِ الزِّيَادَةُ الْأَخِيرَةُ عَلَى الْإِذْنِ فِي الْمُبَاحِ مِنْهُ (١).

ويمكن الجمع بين الرأيين فى تفسير معنى الحديث فيكون النهى منصبًا على غلبة الشعر على قلب المؤمن بحيث يشغله عن الذكر والعلم ، ويتأكد النهى فيما كان خاصًا بالشعر الذى هجى به النبى صلى الله عليه وسلم ، وبكل شعر مذموم على الإطلاق ويقوى هذا حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الشِّعْرُ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ، حَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ، وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ(٢)»

٢ـ فِي حَدِيث النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام: **العَجْماءُ جُبار، والبئرُ جُبار، والمعدنُ جُبار ، وَفِي الرِّكاز الْخُمْس**(٣).

قال أبو عبيد : قَوْله : الْبِئْر جُبار فَإِن فِيهَا غير قَول ، يُقَال : إِنَّهَا الْبِئْر يسْتَأْجر عَلَيْهَا صَاحبهَا رجلاً يحفرها فِي ملكه فتنهار على الْحَافِر، فَلَيْسَ على صَاحبهَا ضَمَان ، وَيُقَال : هِيَ الْبِئْر تكون فِي مِلك الرجل فَيسْقط فِيهَا إِنْسَان أَو دَابَّة فَلَا ضَمَان عَلَيْهِ لِأَنَّهَا فِي ملكه ، فَهَذَا قَول يُقَال ، وَلَا أَحسب هَذَا وَجه الحَدِيث؛ لِأَنَّهُ لَو أَرَادَ المِلك لما خص الْبِئْر خَاصَّة دون الْحَائِط وَالْبَيْت وَالدَّابَّة ، وكل شَيْء يكون فِي مِلك الرجل فَلَا ضَمَان عَلَيْهِ ، وَلكنهَا عِنْدِي : الْبِئْر العادِيَّة(٤)

(١) ينظر : فتح البارى لابن حجر ١٠ / ٥٤٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ١ / ٢٩٩ برقم ٨٦٥ .

(٣) ينظر الحديث فى : غريب الحديث لأبى عبيد ١ / ٢٨١ ، ومسند أحمد ١٢ / ١٥ ، وصحيح مسلم ٣ / ١٣٣٤ ،

(٤) البئر العادية بتشديد الدال : القديمة ذات ماء كانت أم لم تكن . ينظر : التهذيب ٩ / ١٤٤ باب القاف واللام " ق ل ب " .

الْقَدِيمَة الَّتِي لَا يعلم لَهَا حافر وَلَا مَالك تكون فِي الْبَوَادِي فَيَقَع فِيهَا الْإِنْسَان أَو الدَّابَّة فَذَلِك هدر[١] .

الدراسة والتحليل

الحديث فى بيان بعض الأشياء التى لا يكون فيها دية ولا ضمان ، والجُبَار : بضم الجيم وفتح الباء كغُراب : الهَدَرُ الذى لا دية فيه ، يقال: ذهبَ دَمُهُ جُبَارٌ، أي هدَراً [٢] ، وقد أورد أبو عبيد هنا عدة أقول فى تفسير المراد من البئر فى قوله " البئر جبار " وهذه التفاسير إنما اختلفت تبعًا للاختلاف فى تخصيص دلالة لفظ جبار وتعميمها على النحو التالى :

فمن ذهب إلى القول بتخصيص دلالة لفظ " جبار " فى الحديث ذهب إلى تفسيرها بأن المراد بها : البئر التى يحفرها الرجل فى ملكه خاصة ، فتنهار على من يحفرها فلا يلزمه الدية فى ذلك ، وقد نقل هذا القول عن الزمخشرى[٣] .

وأما من ذهب إلى القول بعموم دلالة لفظة " جبار " فى الحديث وأنها لا تختص بالبئر التى يحفرها الرجل فى ملكة بل هى عامة فى كل بئر قديمة لا يعرف لها حافر أو مالك ، وهو ما مال إليه أبو عبيد مُرجحًا لاختياره هذا بتضعيف القوال السابق لتخصيصها لفظة " جبار " بما يحفره الرجل فى ملكه .

تعليق واستنتاج

الذى أراه هنا هو أنه بالإمكان قبول القولين جميعًا فى تفسير دلالة لفظة " جبار" فى الحديث " وأنه يُعنى بها : البئر التى تكون فى ملك الرجل خاصة ، وكذلك

(١) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ١ / ٢٨١ وما بعدها

(٢) ينظر : ديوان الأدب ١ / ٤٤١ باب فعال بضم الفاء .

(٣) ينظر : الفائق ٢ / ٣٩٦ الجيم مع الباء " ج ب ر " .

البئر التى لا يعلم لها حافر ومالك ؛ وذلك لأن المحدثين والفقهاء فقد فسروا الحديث بما يحتمل الوجهين جميعها فقال القاضى عياض :

" وقد يكون – أيضاً – معنى البئر جبار: ما حفره الرجل فى ملكه وحيث يجوز له ، أو بئر يحفرها بفناء داره أو جانب داره للمطر ، كل ذلك لا ضمان على فاعله. وكذلك المستأجَرُ على حفرها"(١) .

وقال ابن حجر : " قال أبو عبيد : المراد بالبئر هنا : العادية القديمة التى لا يعلم لها مالك ...فيقع فيها إنسان أو دابة فلا شيء فى ذلك على أحد ، وكذلك لو حفر بئرا فى ملكه ... فتلف فلا ضمان "(٢) .

٣ ــ فى الحديث أَن رجلا أَتَى إِلَى النَّبِيّ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ : **إِنِّي أَتَيْتُك لأجاهد مَعَك فَقَالَ: أَلَك حَوْبة فَقَالَ: نعم قَالَ: فَفِيهَا فَجَاهد**(٣).

قال أبو عبيد : وَبَعض أهل الْعلم يتأوله على الْأُم خَاصَّة ، وَهِي عِنْدِي كل حُرْمَة تضيع إِن تركتهَا من أم أَو أُخْت أَو بِنْت أَو غير ذَلِك"(٤) .

(١) ينظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضى عياض ٥ / ٥٥٤ .

(٢) ينظر : فتح البارى ١٢ / ٢٥٥ .

(٣) ينظر : الحديث فى غريب أبى عبيد ٢ / ٢٠ ، وشرح السنة للبغوى ٥ / ١٧٦ ، والفائق ١/ ٣٢٩ .

(٤) ينظر قوله : فى غريب الحديث ٢ / ٢٠ ، و٢١ .

الدراسة والتحليل

اختلف فى تفسير لفظ " الحَوبَة " فى الحديث السابق على رأيين :

الأول : عزاه أبو عبيد إلى بعض أهل العلم ، ونقله الخطابى[١] والهروى[٢] وابن الأثير، أن الحوبة فى الحديث : الأم خاصة ، قال ابن الأثير: " وَقِيلَ الحَوْبَة هَاهُنَا : الْأُمُّ والْحُرَم "[٣].

والثانى : وهو ما اختاره أبو عبيد من كون الحَوبة لفظ عام يعنى به كل حرمة يخشى عليها الضياع بالترك ، فالخلاف نابع من القول بتخصيص دلالة لفظ " الحوبة " أو تعميمها . فمن قال بتخصيص دلالتها فسرها بالأم فى الحديث ، ومن قال بعموم دلالتها فسرها بكل حرمة .

وبالرجوع إلى الدلالة المعجمية لهذه اللفظة نجد أنها تطلق على عدة معان فتطلق على الأم[٤] ، وعلى كل ذى قرابة من جهتها ، كما تطلق على الأخت والبنت[٥] ، ونقل فى الجمهرة : " حَوبَة الرجل: حريبته وَأَهله[٦].

والذى أراه هنا هو موافقة أبى عبيد فيما ذهب إليه من تعميم دلالة لفظ الحوبة فى الحديث لتطلق على كل حرمة يخشى عليها الضياع من الترك والهجران ، ومما يدعم ذلك ما يلى :

---

(١) ينظر : غريب الحديث ١/ ٦٠٧ .

(٢) ينظر : الغريبين ٢/ ٥٠٥ .

(٣) ينظر : النهاية ١/ ٤٥٥ .

(٤) ينظر : الأضداد للأنبارى ١/ ١٧٠ .

(٥) ينظر : تاج العروس ٢/ ٣٢١ .

(٦) ينظر : جمهرة اللغة ١ / ٢٨٦ .

أولا : أن الأصل الدلالى لهذه اللفظة يدور كما قال ابن فارس : الْحَاءُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَتَشَعَّبُ إِلَى إِثْمٍ ، أَوْ حَاجَةٍ أَوْ مَسْكَنَةٍ ، وَكُلُّهَا مُتَقَارِبَةٌ ، فَالْحُوبُ وَالْحَوْبُ : الْإِثْمُ.... وَالْحَوْبَةُ : مَا يَأْثَمُ الْإِنْسَانُ فِي عُقُوقِهِ، كَالْأُمِّ وَنَحْوِهَا ... وَيُقَالُ : أَلْحَقَ اللَّهُ بِهِ الْحَوْبَةَ ، وَهِيَ الْحَاجَةُ وَالْمَسْكَنَةُ. (١) .

وروى عن ابن السكيت أنه يقال : لي في بني فلان حُوبَةٌ ، وبعضهم يقوله " حِيبَةً " فتذهب الواو إذا انكسر ما قبلها وهي : كل حُرْمَةٍ تضيع من أمٍّ أو أختٍ أو بنتٍ أو غير ذلك من كل ذات رَحِمٍ"(٢) .

ثانياً : لا يوجد فى حديثه صلى الله عليه وسلم ما يدل على تخصيص الحوبة بالأم ، ومما يقوى هذا التعميم تفسيرها فى حديث آخر وهو قوله «اتَّقُوا اللَّهَ فِي الحَوْبَات» قال ابن الأثير : يُرِيدُ النِّسَاءَ الْمُحْتَاجَاتِ اللَّاتِي لا يستغنين عمّن يقوم عليهنّ ويتعهّدن، وَلَا بُدَّ فِي الْكَلَامِ مِنْ حَذْفِ مُضَافٍ تَقْدِيرُهُ ذَاتُ حَوْبَة، وَذَاتُ حَوْبَات." (٣) .

فالقول بعموم لفظة الحوبات هنا لتشمل كل من يحتاج إلى تعهد من النساء يمكن انسحابه أيضا على لفظة الحوبة فى الحديث مناط الدراسة .

(١) ينظر : مقاييس اللغة

(٢) ينظر : الصحاح ١ / ١١٦ .

(٣) ينظر : النهاية ١ / ٤٥٥ .

٤- فِي حَدِيث شَدَّاد بن أَوْس : " يَا نَعايا الْعَرَب إن أخوف مَا أَخَاف عَلَيْكُم الرِّيَاء والشهوة الخَفيّة "(١).

قال أبو عبيد : وأما قَوْله : الشَّهوَة الخفِيّة ، فقد اخْتلف النَّاس فِيهَا : فَذهب بهَا بَعضهم إِلَى شَهْوَة النِّسَاء ...، وَهُوَ عِنْدِي لَيْسَ بمخصوص بِشَيْء وَاحِد ، وَلكنه فِي كل شَيْء من الْمعاصِي يُضمره صَاحبه ويصرّ عَلَيْهِ .... قَالَ أَبُو عبيد : وَقَالَ بَعضهم : هُوَ الرجل يُصبح مُعْتزمًا على الصّيام للتطوع ثمَّ يجد طَعَامًا طيبًا فيفطر من أَجله.... قَالَ أَبو عبيد: أَظن ابْن عُيَيْنَة كَانَ يذهب إِلَى هَذَا . (٢)

الدراسة والتحليل

أورد أبو عبيد فيما تقدم خلاف العلماء فى تفسير قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث " والشهوة الخفية " ، وقد أورد أبو عبيد فى تأويلها ثلاثة وجوه ، والحق أن للعلماء فى تفسيرها ستة وجوه على النحو التالى :

القول الأول : تفسير الشهوة الخفية : بشهوة النساء ، وهو قول عبد الغفار الفارسى فى مجمع الغرائب(٣) ويقويه ما رواه البيهقى عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَمِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَا نَعَايَا الْعَرَبِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي الرِّيَاءُ، وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ – يَعْنِي الزِّنَا "(٤)

---

(١) ينظر الحديث فى : الزهد لأبى داوود ١ / ٣٠٥ ، وتهذيب اللغة ٦ / ١٨٨ ، وشعب الإيمان ٩ / ١٥٢ ، والفائق ٢ / ٢٧٠ ، والنهاية ٢ / ٥١٦ ، وهو بلفظ " الشرك والشهوة الخفية " فى مسند أحمد ٢٨ / ٣٤٦ ، والمعجم الكبير للطبرانى ٧ / ٢٨٤ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد٤ / ١٦٩ . ١٧٤ .

(٣) ينظر : شرح سنن ابن ماجه للسيوطى وغيره ١/ ٣١٠ .

(٤) ينظر : شعب الإيمان ٩ / ١٥٢ .

القول الثانى : تفسير الشهوة الخفية : بشهوة الإفطار بعد نية الصيام ، ومما يؤيد هذا التفسير ما ورد فى مسند أحمد ، والحاكم فى المستدرك عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ، أَنَّهُ بَكَى، فَقِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ، فَذَكَرْتهُ، فَأَبْكَانِي ، سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقولُ:" أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكَ، وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسولَ اللهِ أَتشْرِكُ أُمَّتكَ مِنْ بَعْدِكَ ؟ " قَالَ: " نَعَمْ. قال: أَمَا إِنَّهمْ لَا يَعْبدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا حَجَرًا وَلَا وَثَنًا، وَلَكِنْ يرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ : أَنْ يصْبِحَ أَحَدُهُمْ صَائِمًا، فَتَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِهِ ، فَيَتْرُكُ صَوْمَهُ "[1] وقد رجح السيوطى هذا القول فقال : ": وحيثما رود التفسير في تتمة الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعدل عنه إلى غيره " [2].

القول الثالث : تفسيرالشهوة الخفية : بشهوة محبة العالم أن يُجلس اليه وقد جاءت مفسرة بذلك أيضا قال المناوى : " (احْذَرُوا الشَّهْوَة الْخفية) قَالُوا وَمَا هِيَ يَا رَسُول الله قَالَ (الْعَالم يحبّ أَن يُجْلَسَ إِلَيْهِ) بِالْبِنَاءِ للْمَجْهول "[3]

القول الرابع : ما ذهب إليه الأزهرى حيث قال: غيرَ أَنِّي أَستحسِن أَن أَنصِب قولَه: والشهْوة الْخفية ، وأَجعلَ الواوَ بِمَعْنى مَعَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَخوَفُ مَا أَخافُ عَلَيْكُم الرِّياء مَعَ الشَّهْوَة الخفيَّة للمعاصي ، فَكَأَنَّهُ يُرائي الناسَ بتركِه الْمعاصِي ، والشّهوَةُ لَهَا فِي قَلبه مُخفاةٌ ، وَإِذا استَخفَى بهَا عَمِلَها. [4]

---

(١) ينظر : مسند أحمد ٢٨ / ٣٤٦ ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٤ / ٣٦٦

(٢) ينظر : شرح سنن ابن ماجه للسيوطى وغيره ١/ ٣١٠ .

(٣) ينظر : التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوى ١ / ٤٤ .

(٤) ينظر : تهذيب اللغة ٦ / ١٨٨ .

القول الخامس : وهو مذهب أبى عبيد أن المراد بالشهوة الخفية : كل شَيْء من الْمعاصِي يُضمره صَاحبه ويصرّ عَلَيْهِ ، فهى على عمومها فى جميع الشهوات ، وتبعه فى هذا العلامة الطِّيبِيُّ . رَحِمَهُ اللَّهُ – فقال :

" يَعْنِي إِذَا كَانَ الرَّجُلُ فِي طَاعَةٍ مِنْ طَاعَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِ نَفْسِهِ، يُرَجِّحُ جَانِبَ النَّفْسِ عَلَى جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَيَتْبَعُ هَوَى نَفْسِهِ فَيُؤَدِّيهِ ذَلِكَ إِلَى الْهَلَاكِ وَالرَّدَى. قَالَ تَعَالَى {فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى[1]} وَلكنه فِي كل الْمعاصِي يضمرها الْمَرْء ويصبر عَلَيْهِ "[2]

القول السادس : فى تفسير الشهوة الخفية هُوَ أن يرى جَارِيَة حسناء فيغض طرفه ثمَّ ينظر إِلَيْهَا بِقَلْبِه كَمَا ينظر بِعَيْنِه وَقيل هُوَ ان ينظر الى ذَات محرم حسناء" وهو يرجع فى معناه إلى القول الأول [3] .

تعليق واستنتاج

بعد عرض هذه الأقوال والمذاهب فى تفسير دلالة لفظة " الشهوة الخفية " فى الحديث أرى أن ما ذهب إليه أبو عبيد من تعميم دلالة هذه اللفظة وحملها عموم الشهوات التى تخفى هو الراجح وذلك لأمور :

١ – أن القول بعموم دلالة لفظ " الشهوة الخفية " أجمع للراويات المتفرقة والتى اختصت كل رواية منها ببيان نوع من أنواع الشهوات ، فيكون معنى الحديث دائر حول الإخلاص المحض الذى لا تشوبه شائبة فى المأمورات والمنهيات على السواء .

---

(١) الآيات ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ فى سورة النازعات .

(٢) ينظر : شرح المشكاة ١١/ ٣٣٧٨ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ٦ / ١٨٨ ، والغريبين للهروى ٣ / ١٠٤٩ .

٢ - مما يدعم القول بالعموم ما روى فى مسند احمد : فَقَالَ شَدَّادٌ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لَمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مِنَ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ وَالشِّرْكِ " فَقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ: اللهُمَّ غَفْرًا، أَوَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَدَّثَنَا: " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ؟ فَأَمَّا الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ فَقَدْ عَرَفْنَاهَا، هِيَ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا مِنْ نِسَائِهَا وَشَهَوَاتِهَا "[١]

فهذه الرواية تبين تفسير الصحابة للشهوة الخفية ومعرفتهم بها وأنها عامة فى كل ما يشتهى .

٣ - تصحيح بعض العلماء واختياره لتفسير أبى عبيد فى الحديث قال الازهرى : " القَوْل: مَا قَالَ أَبُو عبيد فِي الشَّهْوَة الخفيَّة[٢] وقال العزيزى : " وما قاله أبو عبيد هو الظاهر الذي لا محيد عنه "[٣] .

٤ ـ أنه لا يعترض على مذهب أبى عبيد هنا بمجيئ تفسير الشهوة الخفية فى بعض الأحاديث بشيئ مخصوص ؛ لأن ذلك يمكن الجواب عنه بأن الجواب عنها إنما اختلف فى بعض الروايات لاختلاف أحوال الناس ، وهو واقع فى غير ما حديث .

لكل ما تقدم كان القول بعموم الدلالة فى لفظ " الشهوة الخفية " هو الأولى بالقبول .

---

(١) ينظر : مسند احمد ٢٨ / ٣٦٤ .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة ٦ / ١٨٨ .

(٣) ينظر : السراج المنير شرح الجامع الصغير للعزيزى ١ / ٥٧ .

المبحث الخامس
فى الحقيقة و المجاز

توطئة :

الحقيقة فى اللّغة : فعيلة بمعنى مفعولة من حقّ الأمر يحقّه بمعنى : أثبته، أو من حققته إذا : كنت منه على يقين ، والمجاز: من جاز الشىء يجوزه إذا تعدّاه[١] .

والحقيقة والمجاز مظهران من مظاهر الدلالة اللفظية [٢]، فالحقيقة اللغوية كما يقول الإمام عبد القاهر :

" كلّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع[٣] ، وبعبارة أخرى : استعمال اللفظ فيما وضع له .

أما المجاز اللغوى : فهو كلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأوّل[٤] ، أواستعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة ما .

وفيما يلى دراسة لاختيار أبى عبيد فى الأحاديث التى وقع الخلاف فيها بين حمل اللفظ على حقيقته ، أوإرادة المجاز فيه فأقول مستعينا بالله :

---

(١) ينظر : نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ٧ / ٣٧ .

(٢) ينظر : التيسير فى أصول واتجاهات التفسير لعماد على عبد السميع ١ / ٧٦ .

(٣) ينظر : أسرار البلاغة فى علم البيان ١ / ٢٤٨ .

(٤) ينظر : أسرار البلاغة فى علم البيان ١ / ٢٤٩ .

١ـ فِي حَدِيثه عَلَيْهِ السَّلَام : " أنه نهي عَن عَسْبِ الْفَحْل " [١] .

قال أبو عبيد : قَالَ الْأمَوِي : العَسْب : الْكِرَاء الَّذِي يؤخذ على ضراب الْفَحْل .... وقَالَ غَيره : العَسْب هُوَ : الضراب نَفسه ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَالْوَجْه عِنْدِي – مَا قَالَ الْأمَوِي – أَنه الكِراء ، وَلَو كَانَ الْمَعْنى على الضِراب نَفسه لدخل النَّهْي على كل من أنزى فحلاً وَفِي هَذَا انْقِطَاع النَّسْل [٢].

الدراسة والتحليل

تباينت آراء العلماء فى تفسير لفظة " العسب " فى الحديث : ومن ثم الاختلاف فى بيان وجه النهى فيه .

فروى أبو عبيد عن الأموى أن المراد بالعسب فى الحديث : الكراء الذى يؤخذ على ضراب الفحل ، ونقل عن غيره أن العسب يعنى به : الضراب نفسه .

وقد اختار أبو عبيد ما ذهب إليه الأموى معللاً لاختياره بأنه لو أريد بالعسب: الضراب نفسه ، لشمل النهى كل أنواع الضراب وفى هذا انقطاع للنسل .

وبالرجوع إلى أصل دلالة مادة " عسب " فى المعاجم اللغوية نجد انها استعملت فى أصل معناها للضراب ، فروى الخليل : " العسب: طرْقُ الفرس ، وربما استعمله الشاعر في الناس .. وروى عن أبى ليلى : العَسْب : ماء الفحل

---

(١) ينظر الحديث فى مسند الإمام أحمد ٨ / ٢٥٠ ، وغريب الحديث لأبى عبيد ١ / ١٥٤ ، وسنن الدارمى ١ / ٦٢٦ ، وسنن أبى داوود ٥ / ٣٠٤ ، وصحيح البخارى ٣ / ٩٤ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ١ / ١٥٤ ، ١٥٥ .

فرساً كان أو بعيراً. يقال : قطع الله عسبه، أي : ماءه وولده "[١] ، وروى الأزهرى عن شمر: عن ابْن شُميل : عَسْب الْفَحْل : ضِرَابه ، يُقَال : إِنَّه لشديد العَسْب "[٢]

وروى ابن السكيت عن أبى عبيدة قوله : خاصمت الدهناء بنت مسحل، أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة، امرأة العجاج –ومنهم كان العجاج– إلى عامل اليمامة. فكان أبوها يعينها على ذلك، فقال له أهل اليمامة: أما تستحيي أن تطلبَ العَسْبَ لابنتك؟ فقال : أنا أحب أن يكون لها ولد ، فإن أفرطتهم أُجِرَت، وإن بقوا دعوا الله لها "[٣].

فهذه النصوص المتعددة ترجح أن المراد بالعَسْب : هو الضراب والطرق وإنزاء الفحل .

أما ما اختاره أبو عبيد من تفسير الأموى للعسب فى الحديث بمعنى الكراء فقد خرجه على نوع من المجاز المرسل[٤] من باب تسمية الشيئ باسم غيره إذا كان معه أو من سببه ، فسمى العسب كراء ؛ لأنه يكون بسببه فالعلاقة بينهما هى السببية وهو ما فسره البغوى بقوله :

(١) ينظر : العين ١/ ٣٤٢ باب العين والسين والباء معهما .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة ٢ / ٦٩ باب العين والسين مع الباء .

(٣) ينظر : الألفاظ ١/ ٢٣٦ .

(٤) وهو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلى . ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ٢٧٤ ، ط / دار القلم الأولى ١٩٩٦ م .

" وَالْمُرَادُ مِنَ النَّهْيِ هُوَ الْكِرَاءُ الَّذِي يُؤْخَذُ عَلَى ضِرَابِهِ، كَمَا صَرَّحَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ «أَنَّهُ نَهَى عَنْ بَيْعِ ضِرَابِ الْجَمَلِ»، فَعَبّرَ بِالْعسْبِ عَنِ الْكِرَاءِ، لأَنَّهُ سَبَبٌ فِيهِ " (١).

تعليق واستنتاج

الذى أراه هنا أنه من الممكن قبول كلا التفسيرين فى معنى العسب فى الحديث ؛ لأن لكليهما تخريج لغوى يمكن أن يخرجا عليه ، فتفسير العسب بالضراب جار على الأصل فى دلالة المادة اللغوية ، يمكن تخريجه بأن فى الكلام حذفًا ، وأن الأصل فيه : نهى عن كراء عسب الفحل " فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

وأما تفسير العسب بالكراء فيُخَرَّجُ على جهة المجاز المرسل للعلاقة بين الكراء والعسب ، لأن الكراء يكون سببًا عن العسب الذى هو الضراب .

ولا يخفى أن النهى هنا عن أخذ الكراء على ضراب الفحل لأجل ما فيه من الغرر والجهالة لأنه قد يلقح وقد لا يلقح ، قال الخطابى : " وإنما حُرِّم ذلك لما فيه من الغَرَر والخَطَر ، إذ كان ذلك شيئًا غير معلوم ولا يُدرى هل يُلَقِّح أم لا ؟ وهل تَعْلَق الرَّمكة ، أو الناقة أم لا ؟ فنهى عنه إذا كان الكِارِه فيه شَرْطا ، وقد رَخَّص فيه أقوام إذا كان جُعْلاً ، أو كرامة "(٢)

(١) ينظر : شرح السنة ٨ / ١٣٨ .

(٢) ينظر : أعلام الحديث ٢ / ١١٢٢ .

٢ ـ فى حديث العائن [١] قوله " ثمَّ يغسل دَاخِلَة إزَاره "[٢]

قَالَ أَبُو عبيد : وَأما قَوْله : فَيغسل دَاخِلَة إزَاره ، فقد اخْتلف النَّاس فِي مَعْنَاهُ ، فَكَانَ بَعضهم يذهب وهمه إِلَى المذاكير ، وَبَعْضهمْ إِلَى الأفخاذ والورك ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَلَيْسَ هُوَ عِنْدِي من هَذَا فِي شَيْء ، إِنَّمَا أَرَادَ بداخلة إزَاره : طرف إزَاره الدَّاخِل الَّذِي يَلِي جسده ، وَهُوَ يَلِي الْجَانِب الْأَيْمن من الرجل ... قَالَ: وَلَا أعلمهُ إِلَّا جَاءَ مُفَسرًا فِي بعض الحَدِيث هَكَذَا [٣].

الدراسة والتحليل

الإزار : بزنة فِعال ـ بكسر الفاء ـ مأخوذ من من الأزْر وهى : الْقُوَّة والشدة ، لِأَن المؤتزر يَشُدُّ بِهِ وَسطه ويحكيء صُلْبَه[٤]

---

(١) العائن : هو الذى يصيب بالعين وقد ورد فى صفة الغسل منه ما رواه الزُّهْرِيّ قال : يُؤْتى الرجل العائن بقدح فَيدْخل كَفه فِيهِ ، فيتمضمض ثمَّ يمجه فِي الْقدح ، ثمَّ يغسل وَجهه فِي الْقدح ، ثمَّ يدْخل يَده الْيُسْرَى فَيصب على كَفه الْيُمْنَى ، ثمَّ يدْخل يَده الْيُمْنَى فَيصب على كَفه الْيُسْرَى ، ثمَّ يدْخل يَده الْيُسْرَى فَيصب على مرفقه الْأَيْمن ، ثمَّ يدْخل يَده الْيُمْنَى فَيصب على مرفقه الْأَيْسَر ، ثمَّ يدْخل يَده الْيُسْرَى فَيصب على قدمه الْيُمْنَى ، ثمَّ يدْخل يَده الْيُمْنَى فَيصب على قدمه الْيُسْرَى ، ثمَّ يدْخل يَده الْيُسْرَى فَيصب على ركبته الْيُمْنَى ، ثمَّ يدْخل يَده الْيُمْنَى فَيصب على ركبته الْيُسْرَى ، ثمَّ يغسل دَاخِلَة إزَاره ، وَلَا يوضع الْقدح بِالْأَرْضِ ثمَّ يصب على رَأس الرجل الَّذِي أُصِيب بِالْعينِ من خَلفه صبة وَاحِدَة .

ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٢ / ١١٢ .

(٢) ينظر الحديث فى : موطأ مالك ٥ / ٣٧٣ ، وغريب أبى عبيد ٢ / ١١٢ ، و تهذيب اللغة ٧/ ١٢٣ ، والغريبين ٢ / ٦٢٥ ، وشرح السنة للبغوى ١٢ / ١٦٥ ، والفائق ٣ / ٢٩٤ ، وغريب ابن الجوزى ١/ ٣٢٨ ، والنهاية ٢ / ١٠٨

(٣) ينظر قوله فى غريب الحديث ٢ / ١١٢ .

(٤) ينظر : الفائق ١/ ٣٩ باب الهمزة مع الزاى .

وهو فى اللغة : المِلْحَفة[١] ، أو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن " ولا يكون مخيطًا[٢] .

وقد اختلف فى تحديد دلالة قوله فى الحديث " يغسل داخِلَةَ إزارِه " فقال بعضهم هى الأفخاذ والورك ، وقيل المراد بها : المذاكير كنى عنها كما يكنى بالسراويل عن الفرج ، وذهب أبو عبيد إلى ان المراد بها طرف الإزار من الداخل الذى يلى جسد المؤتزر .

وقد أشار إلى هذا الاختلاف الهروى بما نقل عن أبى بكر بن الأنباري فقال: " قال بعضهم: داخلة الإزار: مذاكره ، كني عنها كما يكنى عن الفرج بالسراويل ، فيقال: فلان نظيف السراويل، وقال بعضهم: داخلة إزاره: الورك " [٣].

وقال القاضى عياض : " وَفِي حَدِيث العائن فَغسل دَاخِلَة إزَاره ، قيل : هُوَ طرفه الَّذِي يَلِي جسده ، وَقيل : كنى بداخلة الْإِزَار عَن مَوْضِعه من الْجَسَد فَقيل : يُرِيد : مذاكيره ، وَقيل : وركه"[٤]

وواضح أن الخلاف هنا يدور بين حمل اللفظ على حقيقته و بين حمله على المجاز بطريق الكناية .

(١) ينظر : لسان العرب ٤ / ١٦ باب الراء فصل الهمزة .

(٢) ينظر : تاج العروس ١٠ / ٤٣ باب الراء فصل الهمزة ، والمعجم الاشتقاقى المؤصل لألفاظ القرآن الكريم للدكتور / محمد حسن جبل ٢ / ٨٩٢ .

(٣) ينظر : الغريبين ٢ / ٦٢٥ .

(٤) ينظر : مشارق الأنوار ١ / ٢٥٥ .

تعليق واستنتاج

الذى أراه هنا موافقة أبى عبيد فى اختياره حمل اللفظ على حقيقته وأن قوله " يغسل داخلة إزاره " المراد به طرف إزَاره الدَّاخِل الَّذِي يَلِي جسده وَهُوَ يَلِي الْجَانِب الْأَيْمن وذلك لوجوه :

أولاً : أن تفسير داخلة الإزار بمعنى طرفه الداخل الذى يلى الجسد يتفق مع المعنى اللغوى لكلمة " داخلة " التى تعنى الباطن ، ففى المحكم " وداخِل كُلّ شَيْء: باطنُه الدَّاخِل ..... ودَخْلةُ الرجل، ودَخيلته، ودَخِيله، ودُخْلُله ودُخْلَله، ودُخَيلاؤه : نِيَّته ومَذهبه وخَلَدُه وبطانته، لِأَن ذَلِك كُله يداخله ، وَقَالَ اللَّحيانيُّ: عرفت داخِلَته، ودَخْلَتَه، ودِخْلَتَه، ودَخِيله، ودَخيلته، أَي باطنَه الدَّاخِل[1] .

ثانياً : أن حمل اللفظ على حقيقته أولى من حمله على المجاز فتحديد دلالة "داخلة الإزار " بمعنى طرفه الذى يلى جسده أولى من القول بأنه كنى بها عن المذاكير أو الفرج أو غير ذلك من المجاز .

ثالثاً : ما جاء من تفسير داخلة الإزار فى حديث آخر بنفس المعنى الذى فسرت به هنا ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم " "إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَنْزِعْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، ثُمَّ لِيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ "[2] ، قيل فيى تفسيره لأن المُتَّزِر إذا اتَزّرَ يَأْخُذ إزارَه بيَمِينه وشِمالِه فَيلزَق ما بِشِمَاله على جَسَدِه فهو دَاخِلَة إزارِه ويَرُدُّ ما بِيَمِينه على دَاخِلة إزاره، فمَتَى ما عَاجَله أَمرٌ فخَشِي سُقوطَ إزاره أمسَكَه بمَرْفِقِه الأيسَر ودَفَع بِيَمِينه عن نفسه، فإذا صار إلى

(١) ينظر : المحكم ٥ / ١٤٠ " الخاء والدال واللام " د خ ل " .

(٢) الحديث : فى مصنف ابن أبى شيبة ٥ / ٣٢٢ ، ومسند أحمد ١٥ / ٢٨٢ ، ووسنن ابن ماجه ٥ / ٤٠ .

فِراشِه فحَلّ إزارهَ، فإنَّما يَحُلّ بيمينه خارِجَةَ الإزار وتَبقَى الدَّاخِلُة مُعَلَّقة، وبها يَقَع النَّفضُ لأنها غَيرُ مَشغُولةِ اليَدِ [1].

رابعًا : استظهار بعض العلماء لما اختاره أبو عبيد من تفسير داخلة الإزار وترجيحه على غيره من الأقوال حيث رجحه ابن العربى فقال : وقد اختلَفَ النّاسُ في ذلك: فمنهم من قال: هو كِنايةٌ، يعني بداخلة إزاره : فَرْجَهُ والظّاهر منه – بل هو الحقّ –: أنّ يريدَ به ما يلي البدن من الإزار[2].

٣ـ فِي حَدِيث النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام : " الْإِيمَان يمَان ، وَالْحِكمَة يَمَانية "[3] "

قال أبو عبيد : قَوْله : الْإِيمَان يمَان" وَإِنَّمَا بَدَأَ الْإِيمَان من مَكَّة لِأَنَّهَا مولد النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام ومبعثه ثمَّ هَاجر إِلَى الْمَدِينَة فَفِي ذَلِك قَولَانِ :

أما أحدهما : فَإِنَّهُ يُقَال: إِن مَكَّة من أَرض تهَامَة وَيُقَال : إِن تهَامَة من أَرض الْيمن وَلِهَذَا سمي مَا وَالِي مَكّة من أَرض الْيمن واتصل بهَا التهائم فَكَانَت مَكَّة على هَذَا التَّفْسِير يَمَانِية .... .

وَالْوَجْه الآخر : أَنه يرْوى فِي الحَدِيث إِن النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ هَذَا الْكَلَام وَهُوَ يَوْمئِذٍ بتبوك نَاحيَة الشَّام وَمَكَّة وَالْمَدِينَة حِينَئِذٍ بَينه وَبَين الْيمن فَأَشَارَ إِلَى نَاحيَة الْيمن وَهُوَ يُرِيد مَكَّة وَالْمَدِينَة فَقَالَ: الْإِيمَان يمَان أَي هُوَ من هَذِه النَّاحِيَة ، فهما وَإِن لم يَكُونَا من الْيمن فقد يجوز أَن ينسبا إِلَيْهَا إِذا كَانَتَا من ناحيتها ...قال:

---

(١) ينظر : المجموع المغيث ١ / ٦٤٦ .

(٢) ينظر : المسالك فى شرح موطأ مالك ٧ / ٤٣٧ .

(٣) الحديث فى صحيح البخارى ٤ / ١٧٩ ، و ٥ / ١٧٣ ومصنف ابن أبى شيبة ٦ / ٤٠٦ ، ومسند الإمام أحمد ١٢ / ١٣٣ ، وصحيح مسلم ١ / ٧١ .

وَيذْهب كثير من النَّاس فِي هَذَا إِلَى الْأَنْصَار يَقُول: هم نصروا الْإِيمَان وهم يَمَانِية فنسب الْإِيمَان إِلَيْهِم على هَذَا الْمَعْنى. وَهُوَ أحسن الْوُجُوه عِنْدِي(١)

الدراسة والتحليل

قبل الخوض فى تحديد المراد من هذا الحديث أقول :" قوله " يمان " على النسبة إلى اليمن ذلك البلد(٢) المعروف ، وسمى يمنا لأنه على يمين الكعبة ، كما سمى الشام لأنه على شمالها ، والقياس فى النسبة إلى اليمن أن يقال يمنيّ ، إلا أنهم زادوا ألفا قبل النُّون، وحذفوا يَاء النِّسْبة. (٣) .

وقد اختلف العلماء فى تفسير المراد من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث " الإيمان يمَان " ، وقد نقل أبو عبيد عن العلماء فى ذلك ثلاثة تأويلات وهى :

الأول : أن قوله " الإيمان يمان " يراد به : مَكَّة شرفها الله تعالى ، وهذه التأويل مبنى من جهة أن مكة من أَرض تهَامَة وَيُقَال : إِن تهَامَة من أَرض الْيمن وَلِهَذَا سمي مَا وَالِي مَكَّة من أَرض الْيمن واتصل بهَا التهائم فَكَانَ مَكَّة على هَذَا التَّفْسِير يَمَانِية.

الثانى : أن المراد بقوله " الإيمان يمان " مكة والمدينة ومبنى هذا التأويل على إِن النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ هَذَا الْكَلَام وَهُوَ يَوْمئِذٍ بتبوك نَاحيَة الشَّام وَمَكَّة وَالْمَدينَة حِينَئِذٍ بَينه وَبَين الْيمن فَأَشَارَ إِلَى نَاحيَة الْيمن وَهُوَ يُرِيد مَكَّة وَالْمَدينَة .

---

(١) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٢ / ١٦١ ـ ١٦٤ .

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ٦ / ١٥٨ " ي م ن " .

(٣) ينظر : تصحيح الفصيح لابن درستويه ١/ ٤٩٤ ، وتهذيب اللغة ١٥ / ٣٧٨ ، وشرح الفصيح لابن هشام١ / ٢٧١ .

الثالث : وهو ما حسنه أبو عبيد أن المراد بقوله " الإيمان يمان " الأنصار لأنهم يمانية . وقد نقل هذه التأويلات عن أبى عبيد غير واحد كالأزهرى[١]، والهروى[٢] والميورقى[٣] والقاضى عياض[٤] وغيرهم [٥].

تعليق واستنتاج

الذى أراه هنا : أنه ليس هناك ما يمنع من حمل اللفظ على حقيقته فى الحديث ، وعليه يكون المراد به " أهل اليمن ذلك البلد المعروف ، فحمل اللفظ على الحقيقة أولى من تأويله ، خاصة وأنه وجد من العلماء من يقول بذلك ويدعمه ، فقد نُقل عن الشيخ أبى عمرو بن الصلاح قوله : "

" قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرِو بْنُ الصَّلَاحِ : وَلَوْ جَمَعَ أَبُو عُبَيْدٍ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُ طُرُقَ الْحَدِيثِ بِأَلْفَاظِهِ كَمَا جَمَعَهَا مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ وَتَأَمَّلُوهَا ، لَصَارُوا إِلَى غَيْرِ مَا ذَكَرُوهُ ، وَلَمَا تَرَكُوا الظَّاهِرَ بِأَنَّ الْمُرَادَ الْيَمَنُ وَأَهْلُ الْيَمَنِ عَلَى مَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ إِطْلَاقِ ذَلِكَ ؛ إِذْ مِنْ أَلْفَاظِهِ " أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ " وَالْأَنْصَارُ مِنْ جُمْلَةِ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ فَهُمْ إِذًا غَيْرُهُمْ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ " وَإِنَّمَا جَاءَ حِينَئِذٍ غَيْرُ الْأَنْصَارِ ، ثُمَّ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفَهُمْ بِمَا يَقْضِي بِكَمَالِ إِيمَانِهِمْ وَرَتَّبَ عَلَيْهِ " الْإِيمَانُ يَمَانٍ " وَكَانَ ذَلِكَ إِشَارَةً لِلْإِيمَانِ إِلَى مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ لَا إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ " .

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة ١٥ / ٣٧٨ وما بعدها .

(٢) ينظر : الغريبين للهروى ٦ / ٢٠٦٠ .

(٣) ينظر : تفسير غريب ما فى الصحيحين ١/ ٣٠١ .

(٤) ينظر : مشارق الأنوار ٢ / ٣٠٤ .

(٥) ينظر : النهاية لابن الأثير ٥ / ٣٠٠ .

ويقول أيضا : "" وَلَا مَانِعَ مِنْ إِجْرَاءِ الْكَلَامِ عَلَى ظَاهِرِهِ وَحَمْلِهِ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ حَقِيقَةً لِأَنَّ مَنِ اتَّصَفَ بِشَيْءٍ وَقَوِيَ قِيَامُهُ بِهِ وَتَأَكَّد اضْطِلَاعُهُ مِنْهُ نُسِبَ ذَلِكَ الشَّيْءُ إِلَيْهِ إِشْعَارًا بِتَمَيُّزِهِ بِهِ وَكَمَالِ حَالِهِ فِيهِ ، وَهَكَذَا كَانَ حَالُ أَهْلِ الْيَمَنِ حِينَئِذٍ فِي الْإِيمَانِ وَحَالُ الْوَافِدِينَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي أَعْقَابِ مَوْتِهِ كَأُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ وَأَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ وَشِبْهِهِمَا ، مِمَّنْ سَلِمَ قَلْبُهُ وَقَوِيَ إِيمَانُهُ فَكَانَتْ نِسْبَةُ الْإِيمَانِ إِلَيْهِمْ لِذَلِكَ إِشْعَارًا بِكَمَالِ إِيمَانِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ نَفْيٌ لَهُ عَنْ غَيْرِهِمْ ، فَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " الْإِيمَانُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ " ثُمَّ الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْمَوْجُودُونَ مِنْهُمْ حِينَئِذٍ لَا كُلُّ أَهْلِ الْيَمَنِ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَإِنَّ اللَّفْظَ لَا يَقْتَضِيهِ "[1]

وأرى أن ما ذهب إليه الشيخ ابن الصلاح كاف فى الرد على تأويلات أبى عبيد فى الحديث ومما يدعمه أيضًا الآتى :

١ - التصريح بالخيرية لأهل اليمن فى أحاديث أخرى منه ما رواه الطحاوى من حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَعْرِضُ خَيْلا فَقَالَ رَجُلٌ: خَيْرُ الرِّجَالِ رِجَالٌ جَاعِلُو رِمَاحَهُمْ عَلَى مَنَاسِجِ خُيُولِهِمْ لابِسُو الْبُرُودِ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ. فَقَالَ: كَذَبْتَ بَلْ خَيْرُ الرِّجَالِ رِجَالُ أَهْلِ الْيَمَنِ الإِيْمَانُ يَمَانٍ آلُ لَخْمٍ وَجُذَامَ وَعَامِلَةَ "[2] .

٢ - ما جاء من إشارته صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن وقوله " الإيمان ههنا " فروى البخارى عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

(١) ينظر : شرح النووى على مسلم ٢/ ٣٢ ، ٣٣ ، وفتح البارى لابن حجر ٨ / ٩٩ ، تحفة الاحوذى للمباركفورى ١٠ / ٣٠٢ .

(٢) ينظر : شرح مشكل الآثار ٢ / ٢٧٣ ، وغريب الحديث للخطابى ١ / ٦١٦ .

«الإِيمَانُ هَا هُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى اليَمَنِ، وَالجَفَاءُ وَغِلَظُ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ»(١)

وهو عند القاضى عياض بلفظ قَالَ: سَمِعْتُ قَيْسًا يَرْوِى عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ. قَالَ: أَشَارَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ، فَقَالَ: " أَلا إِنَّ الإِيمَانَ هاهُنا، وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِى الْفَدَّادِينَ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنا الشَّيْطَانِ، فِى رَبِيعَةَ وَمُضَرَ "(٢).

٣ - أن تفضيل أهل اليمن بوب له أصحاب الحديث فى مصنفاته ، فعقد ابن أبى شيبة فى مصنفه باب عنوانه " مَا جَاءَ فِي الْيَمَنِ وَفَضْلِهَا "(٣) ، وعقد الأمام أحمد فى كتابه فضائل الصحابه بابا عنوانه " فَضَائِلُ أَهْلِ الْيَمَنِ"(٤) ، وأصرح من ذلك ما فعله الإمام مسلم حيث عقد فى صحيحه بابًا عنوانه " بَابُ تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ، وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ "(٥) .

فهذا التبويب من أهل العلم يفيد اختصاص أهل اليمن بهذا دون غيرهم ، وعليه فحمل اللفظ فى الحديث على حقيقته والظاهر منه أولى من تأويله .

(١) ينظر : صحيح البخارى ٤ / ١٢٨ .
(٢) ينظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم ١ / ٢٩٤ .
(٣) ينظر :مصنف ابن ابى شيبة ٦ / ٤٠٦ .
(٤) ينظر : فضائل الصحابة ٢ / ٨٦١ .
(٥) ينظر : صحيح مسلم ١/ ٧١ .

٤ـ فِي حَدِيث أبي بكر الصّديق ـ رَضِي الله عَنهُ ـ حِين منعته الْعَرَب الزَّكَاة فَقيل لَهُ : اقبل ذَلِك مِنْهُم فَقَالَ : " **لَو مَنَعُونِي عِقَالاً مِمّا أدّوا إِلَى رَسُول الله عَلَيْهِ السَّلَام لقاتلتهم عَلَيْهِ كَمَا أقاتلهم على الصَّلَاة** "[1] .

قَالَ أَبُو عبيد : قالَ الْكسَائي : العِقالُ : صدقَةُ مصدقةُ عامٍ يُقَال : قد أُخِذَ مِنْهُم عِقال هَذَا الْعَام – إِذا أُخِذَت مِنْهُم صدقتُه ....قَالَ أَبُو عبيد : فَهَذَا كَلَام الْعَرَب الْمَعْرُوف عِنْدهم . وَقد جَاءَ فِي بعض الحَدِيث غير ذَلِك ، ذكر الْوَاقِدِيّ : أَن مُحَمَّد ابن مسلمة كَانَ يعْمل على الصَّدَقَة فِي عهد رَسُول الله صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم فَكَانَ يَأْمر الرجل إِذا جَاءَ بفريضتين أَن يَأْتِي بِعقاليْهما وقِرانَيهما. ... قَالَ أَبُو عبيد : فَهَذَا مَا جَاءَ فِي الحَدِيث ، والشواهد فِي كَلَام الْعَرَب على القَوْل الأول أَكثر ، وَهُوَ أشبه عِنْدِي بِالْمَعْنَى. [2]

الدراسة والتحليل

مدار الاختلاف فى هذا الحديث حول تفسير دلالة لفظة " عقال " المذكورة فيه ، حيث اختلف العلماء فى دلالتها وتأويلها على خمسة وجوه على النحو التالى :

الوجه الأول : وهو ما حكاه أبو عبيد عن الكسائى[3] : أن العقال معناه : صدقة عام ، يُقَال : قد أُخِذَ مِنْهُم عِقال هَذَا الْعَام – إِذا أُخِذَت مِنْهُم صدقته ، وقد رجح أبو عبيد هذا القول الأول لوردود الشواهد عليه من كلام العرب ومن الحديث .

---

(١) ينظر الحديث فى مسند الشافعى ١/ ٢٠٨ ، ومصنف ابن أبى شيبة ٢ / ٤٣٤ ، وصحيح وصحيح البخارى ٩ / ٩٣ ، وصحيح مسلم ١ / ٥١ ، وسنن أبى داوود ٢ / ٩٣ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٣ / ٢٠٩ .

(٣) وهو قول الخليل فى العين ١ / ١٥٩ باب العين والقاف واللام .

فأما كلام العرب فقد روى عن الأصمعى أنه يُقَال : بعث فلَان على عِقال بني فلَان – إذا بُعِث على صَدَقَاتهمْ ، وأما الشعر فقد استدل بقول عَمْرو بن العدّاء الْكَلْبِيّ :

سعى عِقالا فَلم يَتْرُك لنا سَبَداً ∴ فَكيف لَو قد سعى عمروعقالين
لأصبَح الحيّ أو بادا وَلم يَجدوا ∴ عِنْد التفرُّقِ في الهيجا جِمالينِ[1]

قال : فَهَذَا الشّعْر يبيّن لَك أنَّ العقال إنّما هُوَ صَدَقَة عَام [2].

وأما الحديث فبما روى عَن عمر أَنه أخّر الصَّدَقَة عَام الرَّمَادَة فَلَمَّا أَحْيَا النَّاس بعث ابْن أبي ذُبَاب فَقَالَ : اعقل عَلَيْهِم عِقالين فاقسمْ فيهم عِقالا وائتني بِالْآخرِ[3].

الوجه الثانى : أن العقال معناه : ما يعقل به البعير أى : الحبل الذى يربط به وهو الذي تعقل به الفريضة التي كانت تؤخذ في الصدقة . يجب عَلَى رَبِّ المَال تَسْلِيمُهُ مَعَ الْبَعِيرِ إِذَا لَمْ يُمْكِنْ تَسْلِيمُهُ إلا مَعَهُ َ قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: كَانَ مِنْ عَادَةِ الْمُصَدِّقِ إِذَا أَخَذَ الصَّدَقَةَ، أَنْ يَعْمِدَ إِلَى قَرَنٍ، وَهُوَ الْحَبْلُ، فَيَقْرِنَ بِهِ بَيْنَ بَعِيرَيْنِ يَشُدُّهُ فِي أَعْنَاقِهِمَا، لِئَلا تَتَشَرَّدَ الإِبِلُ، فَتُسَمَّى عِنْدَ ذَلِكَ الْقَرَائِنَ، فَكُلُّ قَرَنَيْنِ مِنْهَا عِقَالٌ. [4] وإلى هذا ذهب مالك وابن أبى ذئب. [5]

(١) البيتان من البسيط لعمرو بن العداء الكلبى فى لسان العرب١١ / ٤٦٤ ، وتاج العروس٣٠/ العروس٣٠/ ٢٧ باب اللام فصل العين ، والمعجم المفصل ٨ / ٢٦٦ .

(٢) ينظر : غريب أبى عبيد ٣/ ٢١١ .

(٣) ينظر الحديث فى : معرفة السنن والآثار للبيهقى ٦ / ٧٨ .

(٤) ينظر : غريب الحديث للخطابى ٢ / ٤٨ ، وشرح السنة للبغوى ٥ / ٤٩٤ ، والنهاية٣/٢٨٠ .

(٥) ينظر : أكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضى عياض ١ / ٢٤٥ .

الوجه الثالث : أن المراد بالعقال فى الحديث : هو أن يأخذ الْمُصدق الصَّدَقَة من عين الشَّيْء المزكى دون عوضه ، فَإِذا أَخذ الثّمن قيل أَخذ نَقْدا ، وإلا فهو العقال وبه قال المبرد[١] وأنشد شاهدا له قوله :

أَتَانَا أَبُو الخَطَّابِ يَضْرِبُ طَبْلَهُ ∴ فَرَدَّ ولَمْ يَأخُذْ عِقَالًا وَلا نَقْدًا[٢]

الوجه الرابع : ذَهَبَ إِلَيْهِ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ قَالَ : العَرَبُ تَقُولُ : أَفرضَتْ إبلكم إذا وَجَبَتْ فِيهَا الفريضةُ وأَشنَقَتْ إبلكم. قَالَ : والشَنَقُ : أن يكون في خَمْسٍ مِن الإبِل شَاةٌ وفي عَشْرٍ شَاتَان إلى أَنْ تَبْلُغَ خَمْسًا وعِشْرِين فإذا وَجَبَتْ فيها ابنَةُ مَخَاضٍ فهي العِقَالُ. [٣]

الوجه الخامس : كُلّ مَا أُخِذَ مِن الأَصْنَافِ مِن الإبِلِ والبقَرِ والغَنَم والثِّمَار الَّتي يُؤْخَذُ مِنْهَا العُشْرُ ونِصْفُ العُشْرِ فَهَذَا كُلُّهُ عِقَالٌ في صَنْفِهِ ،وسُمِّيَ عِقَالا لأَنَّ المُؤَدِّي لَهُ قَدْ عَقَلَ عَنْهُ طَلِبَةُ السُّلْطَان وتَبِعَتَهُ ، وعَقَلَ عَنْهُ الإثْم الَّذِي يطلبهُ اللهُ بِهِ إذا مَنَعَ الزَّكَاة، وعزى هذا القول لأبى سعيد الضرير.[٤]

الوجه السادس : أن المراد بالعقال : ما يساوي عقالًا من حقوق الصدقة . [٥]

تعليق واستنتاج

(١) ينظر : الكامل للمبرد ١ / ٣٠٧ ، وفتح البارى ١٢ / ٢٧٨ .

(٢) البيت من الطويل بلا عزو فى الكامل ١/ ٣٠٧ ، وغريب الخطابى ٢/ ٤٩ .

(٣) ينظر : غريب الحديث للخطابى ٢/ ٤٨ .

(٤) ينظر : غريب الخطابى ٢ / ٤٩، وفتح البارى ١٢ / ٢٧٨ .

(٥) ينظر : مجمع بحار الأنوار ٣/ ٦٤٦ .

مما تقدم عرضه من أقوال فى تحديد دلالة لفظ " العقال " فى الحديث " أرى أن أقرب الوجوه إلى الصحة قول من ذهب إلى أن المراد بالعقال : الحبل الذى تعقل به الفريضة فى الصدقة ، وهو مَذْهَبَ كَثِير مِنَ الْمُحَقِّقِينَ قال النووى :

" وَذَهَبَ كَثِيرُونَ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعِقَالِ الْحَبْلُ الَّذِي يُعْقَلُ بِهِ الْبَعِيرُ... وَهُوَ اخْتِيَارُ صَاحِبِ التَّحْرِيرِ وَجَمَاعَةٍ مِنْ حُذَّاقِ الْمُتَأَخِّرِينَ [(١)] ومما يدعم هذا المذهب أمور :

أولا : أن سياق الحديث يقوي هذا الرأى ، فالكلام فى الحديث قد خَرَجَ مَخْرَجَ التَّضْيِيقِ وَالتَّشْدِيدِ وَالْمُبَالَغَةِ فى استقصاء ما كان يدفعه هؤلاء المرتدون مانعو الزكاة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته فَيقتضى السياق الحمل على قِلَّةَ مَا عَلَّقَ بِهِ قِتَالَهم وَحَقَارَتَهُ وهو الحبل الذى يعقل به البعير ، ولو حمل معناه على صدقة العام كما فسر أبو عبيد لم يحصل ذلك المعنى[(٢)].

ويؤكد ذلك ما رواه الخطابى عن أحمد بن الحُسَيْن التيمي قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بن إبراهيم بن سعيد العَبْديَّ ..يَقُول: إنَّمَا يُضْرَبُ المَثَل في مِثْلِ هَذَا بالأَقَلِّ فَمَا فَوْقَهُ كَمَا يَقُول الرَّجُل للرَّجُل: إذا مَنَعَهُ الكَثِيرَ من المَال لا أُعْطِيكَ ولا دِرْهَمًا مِنْهُ ولَيْسَ بالسَّائِغَ أَنْ يَقُولَ: لا أُعْطِيكَ ولا مِائَةَ أَلْفٍ ونَحْوَهَا "[(٣)] .

ثانيا : مما يدعم حمل الحديث على المبالغة فى بيان أقل ما يقاتل عليه أن هذا الحديث قد جاء فى رواية أخرى " عناقا " والعناق من أولاد المعزى فهي الأنثى التي

(١) ينظر : شرح النووى على صحيح مسلم ١/ ٢٠٨ .
(٢) ينظر : شرح النووى على صحيح مسلم ١/ ٢٠٨ .
(٣) ينظر : غريب الخطابى ٢/ ٤٧ .

لم تستكمل سنه ولم تجدع[١]، فيكون المعنى إنما هو إرادة الشيئ الحقير التافه وضرب العقال أو العناق مثلا له[٢]، وهو ما أكده المطرزى بقوله :

" وَفِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا ....قِيلَ : هُوَ الْحَبْلُ الْمَعْرُوفُ وَقِيلَ أَرَادَ الشَّيْءَ الْحَقِيرَ فَضَرَبَ الْعِقَالَ مَثَلًا وَهُوَ الْمُلَائِمُ لِكَلَامِهِ وَتَشْهَدُ لَهُ رِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ عَنَاقًا وَهِيَ الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الْمَعْزِ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى جَدْيًا أَوْ أَدْوَطَ وَهُوَ الْقَصِيرُ الذَّقَنِ وَكِلَاهُمَا لَا يُؤْخَذُ فِي الصَّدَقَاتِ فَدَلَّ أَنَّهُ تَمْثِيلٌ"[٣]

ثالثا : لا يمكن التسليم بما فسر أبو عبيد من كون العقال صدقة عام لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِنَّمَا قَالَ مَا قَالَ عَلَى معنى : أَنَّهُمْ لَوْ مَنَعُوهُ قَلِيلًا مِمَّا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّدَقَةِ كُلِّهَا، لا صدقة عام واحد" [٤]. ونقل ابن بطال عن العبدى قوله : "وأيضًا فإن العرب لم تقل له: لا أعطيك إلا عامًا واحدًا. وإنما منعوا الصدقات على الأبد، فكيف يقول العقال الذى منعوه: صدقة عام، وهم يتأولون أنهم كانوا مأمورين بأدائها إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) دون القائم بعده؟ " [٥].

رابعا : استشهاده لما ذكر بحديث عام الرمادة المروى عن عمر من قوله أَنه أخّر الصَّدَقَة عَام الرَّمَادَة فَلَمَّا أَحْيَا النَّاس بعث ابْن أبي ذُبَاب فَقَالَ :اعقل عَلَيْهِم عِقالين

(١) ينظر : الزاهر للأنبارى ١/ ١٩٣ .
(٢) ينظر : الفائق ٣ / ١٤ .
(٣) ينظر : المغرب فى ترتيب المعرب ١ / ٣٢٤ .
(٤) ينظر : شرح مشكل الآثار للطحاوى ١٥ / ٨٣ .
(٥) ينظر : شرح صحيح البخارى لابن بطال ٣ / ٣٩٤ .

فاقسمْ فيهم عِقالا وائتني بِالْآخرِ[١] ، فهو مردود بما نقله البيهقى عن الشافعى قال: " وقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي «الْقَدِيمِ»: وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ: «أَنَّهُ أَخَّرَ الصَّدَقَةَ عَامَ الرَّمَادَةِ، ثُمَّ بَعَثَ مُصَدِّقًا فَأَخَذَ عِقَالَيْنِ عِقَالَيْنِ»، وَلَيْسَ بِالثَّابِتِ "[٢]

كما رُد استشهاده بالبيت الذى ذكره فقيل : والبيت الذى احتج به ليس بالبيت الذى يحتج به "[٣] .

٥ . فِي حَدِيث عُمَر رَضِيَ الله عَنْهُ – فِي الجالب قَالَ : **يَأْتِي بِهِ أحدهم على عَمُود بَطْنه** " [٤].

قال أبو عبيد : قَالَ أَبُو عَمْرو: وعمود بَطْنه : هُوَ ظَهره ،وَيُقَال : إِنَّه الَّذِي يمسك الْبَطن ويقوّيه فَصَارَ كالعمود لَهُ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَالَّذِي عِنْدِي فِي عَمُود بطنه أَنه أَرَادَ : أَن يَأْتِي بِهِ على مشقة وتعب وَإِن لم يكن ذَلِك على ظَهره وَإِنَّمَا هَذَا مثل [٥].

(١) ينظر الحديث فى : معرفة السنن والآثار للبيهقى ٦ / ٧٨ .

(٢) ينظر : معرفة السنن والآثار للبيهقى ٦ / ٧٧ .

(٣) ينظر : شرح صحيح البخارى لابن بطال ٣ / ٣٩٤ .

(٤) ينظر الحديث فى : موطأ مالك ٤ / ٩٤٢ ، وتاريخ المدينة لابن شبة ٢ / ٧٤٨ ، و تهذيب اللغة ٢ / ١٥٠ ، والمحكم٢ / ٣٦ ، والفائق ٣ / ٢٧ .

(٥) ينظر : غريب أبى عبيد ٣ / ٣٩١ .

الدراسة والتحليل

قوله فى الحديث " عمود بطنه " مشتق من العمود ، وأصل دلالة هذا اللفظ تَرْجِعُ إِلَى مَعْنًى محورى ، وَهُوَ الِاسْتِقَامَةُ فِي الشَّيْءِ، مُنْتَصِبًا أَوْ مُمْتَدًّا [١] ومنه عمود الخباء ، قال الخليل : " الأَعْمِدَةُ : جمع العَمود من حديد أو خشب ، وعَمُود الخباء من خشب قائم في الوسط [٢] ، وَالْعَمُودُ أيضًا: هو الَّذِي تَحَامَلَ الثِّقْلُ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقُ كَالسَّقْفِ يُعْمَدُ بالأَساطينِ الْمَنْصُوبَةِ[٣] .

وقد اختلف فى دلالة قوله فى الحديث " على عمود بطنه " إلى عدة أقوال :

الأول : أن المراد بعمود بطنه : ظهره ، وَسمي الظّهْر عمودًا ، لِأَنَّهُ يعمد الْبَطن وقوامه بِهِ فصار كالعمود لها ، وهو قول أبى عمرو كما فى التهذيب[٤] والصحاح[٥] والصحاح[٥] ، والمحكم [٦] واللسان [٧]

(١) ينظر : مقاييس اللغة ٤ / ١٣٧ " ع م د " .

(٢) ينظر : العين ٢ / ٥٧ ، باب العين والدال والميم معهما ، والمحكم ٢ / ٣٦ . باب العين والدال والميم .

(٣) ينظر : لسان العرب ٣/ ٣٠٣ باب الدال صل العين

(٤) ينظر : تهذيب اللغة ٢ / ١٥٠ .باب العين والدال مع الميم .

(٥) ينظر : الصحاح ٢ / ٥١٢ .

(٦) ينظر : المحكم لابن سيده ٢ / ٣٦ العين والدال والميم .

(٧) ينظر : لسان العرب ٣ / ٣٠٤ باب الدال فصل العين .

الثانى : عمود البطن : هو شبه عِرق ممدود من لدن الرُّهابَة[١] إلى دُوَيْن السُّرّة في وسطه ، يشقّ من بطن الشّاة ، فكأنَّما حَمله عَلَيْهِ ، وهو قول الخليل[٢] ونقله الزمخشرى فى الفائق[٣].

الثالث : أن هذا القول فى الحديث علي سبيل التمثيل وهو كناية عن التعب والمشقة وهو ما اختاره أبو عبيد ورجحه .

تعليق واستنتاج

الذى أراه هنا أن ما ذهب إليه أبو عبيد من حمل قوله " عمود بطنه " على المجاز بطريق الكناية ، هو أقرب الآراء إلى الصواب ؛ لأنه ليس المراد فى الحديث تحديد مواضع بعينها فى جسد الإنسان ؛ بل كل ذلك تمثيل وكناية عن تحمل التعب والمشقة فيما يجلبه الجالب ليبيعه .

فمعنى الحديث على هذا : أن الْجَالِبُ الَّذِي يَجْلِبُ الْمَتَاعَ إِلى الْبِلَادِ ؛ يُتْرَكُ وبَيْعَه ، لَا يَتَعَرَّضُ لَهُ حَتَّى يَبِيعَ سِلْعَتَهُ كَمَا شَاءَ ، فإنه قَدِ احْتَمَلَ الْمَشَقَّةَ وَالتَّعَبَ فِي اجْتِلَابِهِا وَقَاسَى السَّفَرَ والنصَب فى ذلك ، ومما يدعم هذا الرأى ويقويه ما يلى :

(١) الرهابة : غضروف كاللسان "أو كطرف لسان الكلب" في أسفل الصدر مشرف على البطن . ينظر : معجم متن اللغة ٢ / ٦٦١ .

(٢) ينظر : العين ٢ / ٥٨ .

(٣) ينظر : الفائق ٣ / ٢٧ .

أولا : أن الحديث قد جاء برواية أخرى " وهى عمود كبده " ففى الموطأ من حديث عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أنه قال : وَلَكِنْ أَيُّمَا جَالِبٍ جَلَبَ عَلَى عَمُودِ كَبِدِهِ فِي الشِّتَاءِ ، وَالصَّيْفِ ، فَذلِكَ ضَيْفُ عُمَرَ. فَلْيَبِعْ كَيْفَ شَاءَ اللهُ ، وَلْيُمْسِكْ كَيْفَ شَاءَ اللهُ "[1]

وقد فسر عمود الكبد فى هذا الحديث بأنهما : عِرْقَانِ ضَخْمَانِ جَنَابَتَي السُّرة يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَيُقَالُ: إِن فُلَانًا لَخَارِجٌ عَمُودُهُ مِنْ كَبِدِهِ مِنَ الْجُوعِ "[2] فهذا اللفظ هنا لا يراد به حقيقته بل يراد ما يفهم منه بطريق المجاز من شدة الجوع .

ثانيًا : ليس كل من يجلب شيئا يحمله على ظهره ، وإن كان الأصل فى الحمل أن يكون على الظهر ، فقد يحمله بيديه أو على رحل ودابة أو غير ذلك من أنواع الحمل ، وإنما الكلام جار مجرى التمثيل وهو باب واسع خرجت عليه الكثير من الآيات والأحاديث[3] "

وإذا تقرر ذلك فلا مانع من حمل الحديث هنا عليه ، ويكون قوله " عمود بطنه " كناية عن التعب والمشقة فى جلب المبيع وتكلف حمله .

---

(١) ينظر : موطأ مالك ٤ / ٩٤٢ .

(٢) ينظر : لسان العرب ٣ / ٣٠٤ .

(٣) نحو قوله تعالى " وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم " وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث وقد سئل : أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لُحُوقًا؟ قَالَ: «أَطْوَلُكُنَّ يَدًا " وغيرهما .
ينظر : التحرير والتنوير ٧ / ١٩٢ ، وفتح البارى ٣ / ٢٨٧ .

٦ـ فِي حَدِيث أبي هُرَيْرَة حِين ذكر حَدِيثًا عَن النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام فَقيل لَهُ: أسمعته من رَسُول اللَّه ـ صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم ـ فَقَالَ : أنا مَا طَهْوِي " [١].

قَالَ أَبُو عبيد: هَذَا عِنْدِي مَثَلٌ ضربه ؛ لِأَن الطَّهْوَ فِي كَلَامهم : إنضاج الطَّعَام يُقَال مِنْهُ : طَهَوتُ اللَّحْم أطْهَاه ... قَالَ أَبُو عبيد: فنرى أَن أَبَا هُرَيْرَة جعل إحكامَه للْحَدِيث وإتقانَه إيَّاه كالطاهي المُجِيد المُنْضِج لطعامه يَقُول : فَمَا كَانَ عَمَلي إن كنتُ لم أُحكم هَذِه الرِّوَايَة الَّتِي حكيتها عَن رَسُول اللَّه ـ صلي اللَّه عَلَيْهِ وَسلم ـ كإحكام ذَلِك الطاهي للطعام ، وَكَانَ وَجه الْكَلَام أَن يَقُول : فَمَا طهوي أَي : فَمَا كَانَ إذا طَهْوِى ، وَلَكِن الحَدِيث جَاءَ على ذَلِك اللَّفْظ . [٢]

الدراسة والتحليل

قول أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ" أنا ما طهوى " جاء عقب روايته لحديث عَنْ النبى صلى الله عليه وسلم يقول فيه :

«لَمْ يَبْقَ مِنَ الْجَنَّةِ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ إِلَّا هَذَا الْحَجَرُ ، وَغَرْسُ الْعَجْوَةِ ، وَأَوْدَاءٌ مِنَ الْجَنَّةِ يَصُبُّ فِي مَاءِ الْفُرَاتِ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» فسأله رجل : فقال : أنت سمعت هذا من رسول الله فقال " أنا ما طهوى "[٣] :

وقد فسر أبو عبيد قوله " أنا ما طهوى " على معنى أن أبا هريرة رجل محكم لرواية الحديث متقن لها ، شأنه فى ذلك شأن الطاهى الجيد الذى يطهى الطعام

(١) ينظر الحديث فى مسند اسحاق بن راهوية ١ / ٢٨٢ ، والعين ٤ / ٧٥ ، والجمهرة ٩٢٩/٢، والبارع للقالى ١ / ١٣١ ، وتهذيب اللغة ٦ / ١٩٩ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى ٧ / ٣٠٤ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٤ / ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٣) ينظر : مسند اسحاق بن راهوية ١ / ٢٨٢ .

ويحكم إنضاجه ، لأنه يقال فى اللغة : " طَهَوتُ اللحم أطهاه : إذا انضجته " ففى الجمهرة : الطَّهْو: فعل الطاهي، وَهُوَ الطّباخ والخبّاز ، طَهَا يطهُو طَهْواً [١] وفى المحكم : " وَقيل: كل مصلح لطعام أَو غَيره معالج لَهُ طاهٍ ، وَالْجمع طُهاةٌ وطُهِيٌّ "[٢] ، وقال فى اللسان : " وأَصلُ الطَّهْوِ الطَّبْخُ الجَيِّدُ المُنْضِجُ. يُقَالُ: طَهَوْتُ الطّعَامَ إِذا أَنْضَجْتَه وأَتْقَنْتَ طَبْخَه "[٣].

وعلى ما تقدم يكون كلام أبى هريرة مبنى على المثل والاستعارة كأنه استعار الطهى الذى هو بمعنى إنضاج الطعام لانضاج الرواية وإحكامها واتقانها ، فمعناه : وماذا يكون عملى إن لم أحكم هذه الرواية ، وهو الوجه الذى ارتضاه فى تأويل الحديث .

وهذا التفسر الذى ذكره أبو عبيد للحديث هو تفسير الخليل بن أحمد فى العين[٤] ، وتابعه عليه ابن دريد[٥] والقالى[٦] ، وابن فارس[٧] .

والحق أنه هناك من تأول قوله " أنا ما طهوى " على معنى آخر غير ما ذهب إليه أبو عبيد ، فروى ثعلب عن الأعرابى[٨] أن معناه " أنا ما ذنبى " لأنه يقال "

(١) ينظر : جمهرة اللغة ٢ / ٩٢٨ باب الطاء والهاء والياء .
(٢) ينظر : المحكم ٤ / ٤١٠ باب الهاء والطاء والواو
(٣) ينظر : لسان العرب ١٥ / ١٦ .
(٤) ينظر : العين ٤ / ٧٥ باب الهاء والطاء واوى معهما .
(٥) ينظر : جمهرة اللغة ٢ / ٩٢٩ باب الطاء والهاء والياء .
(٦) ينظر : البارع ١ / ١٣١ باب الهاء والطاء
(٧) ينظر : مقاييس اللغة ٣ / ٤٢٧ باب الطاء والهاء وما يثلثهما " .
(٨) ينظر روايته فى التهذيب ٦ / ١٩٩ ، والغريبين للهروى ٤ / ١١٩٠ .

طهى طَهْيًا إذا أذنبَ ، والطَّهْىُ : الذَّنْبُ [١] ، وعلى هذا التفسير يكون معنى الحديث : فما ذنبى أنا أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك .

وأورد الأزهرى فى معناه قولا ثالثًا ذهب به إلى معنى التعجب من مقولة الرجل الذى سأل أبا هريرة عن سماعه لهذا الحديث فقال : " الذي عندي فيه: أنا ما طهوي؟ ! أي: أي شيء طهوي؟ ! على التعجب، كأنه قال: أي شيء حفظي وإحكامي ما سمعت[٢] ، وقد أورد هذه الوجوه الثلاثة فى تفسير الحديث الهروى فى فى الغريبين[٣] .

تعليق واستنتاج

الذى تطمئن إليه النفس فى تفسير قوله " انا ما طهوى " هو ما ذهب إليه ابن الأعرابى من تأويل معنى الحديث على الذنب وذلك لعدة وجوه :

الوجه الأول : من الناحية اللغوية تفسير ابن الأعرابى للحديث له أصل فى اللغة ، لأنه يقال : الطهو : الذنب ، وأطهى : إذا أذنب .

الوجه الثانى : من ناحية الرواية أن الرواية فى الحديث إنما هى " أنا ما طهوى " وهى أنسب لتفسير ابن الأعرابى ، ولو كان المعنى على ما فسر أبو عبيدة لكانت " فما طهوى " وهو ما صرح به أبو عبيد نفسه فى نصه المتقدم .

الوجه الثالث : اختيار بعض العلماء وترجيحهم لمذهب ابن الأعرابى فى تفسيره للحديث ، فها هو الأزهرى يقول بعد إيراد الخلاف فى معنى الحديث " قلت: وقولُ

(١) ينظر : تهذيب اللغة ٦ / ١٩٩ ، و المحكم ٤ / ٣٧٠ ، ولسان العرب ١٥ / ١٧ .

(٢) ينظر : تهذيب اللغة ٦ / ١٩٩ باب الهاء والطاء .

(٣) ينظر : الغريبين ٤ / ١١٩٠ .

ابْن الأعرابيّ أشبه بِمَعْنى الحَدِيث"[١] .

الوجه الرابع : أن سياق الحديث يؤيد تفسير ابن الأعرابى " الطهو بمعنى الذنب ، وتوجيه ذلك أن يكون أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ قد حمل قول السائل له على معنى أنه يستبعد صدور مثل هذا الكلام عن النبى ، أو أنه يستبعد كون شيء من الجنة موجود فى الأرض ، فكان رد أبى هريرة عليه " مشعر بأنه لا ذنب له فى الأمرين ، وإنما هذا شيء سمعه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرواه ، وأداه على نحو ما سمع " .

الوجه الخامس : حمل معنى الحديث على تفسير أبى عبيد يفهم منه ان أبا هريرة إنما يمتدح نفسه بكثرة الرواية وإتقانها ، وهذا وإن كان حقيقة ، فإنه مما يبعد صدوره من صحابى يقرأ قوله تعالى " فلا تزكوا أنفسكم[٢] " التى فسرها ابن عباس بقوله " لا تمدحوها "[٣] .

٧ ـ فِي حَدِيث الشّعبِيّ : " لَا تعقل الْعَاقِلَة عمداً وَلَا عبداً وَلَا صُلْحاً وَلَا اعترافا " [٤].

قال أبو عبيد : وَأما قَوْله : " وَلَا عَبْداً " فانَّ النَّاس قد اخْتلفُوا فِي تَأْوِيل هَذَا فَقَالَ لي مُحَمَّد بن الْحسن[٥] : إِنَّمَا مَعْنَاهُ أَن يقتل العَبْد حرًّا.... وَاحْتج فِي ذَلِك

(١) ينظر : تهذيب اللغة ٦ / ١٩٩ . باب الهاء والطاء

(٢) من الآية ٣٢ فى سورة النجم .

(٣) ينظر : لباب التأويل وملاك التنزيل " تفسير الخازن " ٤ / ٢١٢ .

(٤) ينظر الأثر بلفظه فى : سنن الدارقطنى ٤ / ٢٣٣ ، والسنن الكبرى للبيهقى ٨ / ١٨١ ، والاستذكار لابن عبد البر ٨ / ١١٦ .

(٥) هو محمد بن الحسن الشيبانى مولاهم الكوفى محدث فقيه عالم ، صحب أبا حنيفة ، روى عنه الشافعى وأبو عبيد القاسم بن سلام توفى ١٨٩هـ . ينظر ترجمته فى تاريخ بغداد ٥٦١/٢ .

بِشَيْء رَوَاهُ عَن ابْن عَبَّاس قَالَ : لَا تعقل الْعَاقِلَة عمدا وَلَا صلحا وَلَا اعترافا وَلَا مَا جنى الْمَمْلُوك " قَالَ مُحَمَّد : أَفلا ترى أنّه قد جعل الْجِنَايَة جِنَايَة الْمَمْلُوك وَهَذَا قَول أبي حنيفَة ، وَقَالَ ابْن أبي ليلى[1]: إِنَّمَا مَعْنَاهُ أَن يكون العَبْد يُجنَى عَلَيْهِ يقْتله حرًّا ويجرحه يَقُول : فَلَيْسَ على عَاقِلَة الْجَانِي شَيْء إِنَّمَا ثمنه فِي مَاله خَاصَّة ...قَالَ أَبُو عبيد: وَهُوَ عِنْدِي كَمَا قَالَ ابْن أبي ليلى وَعَلِيهِ كَلَام الْعَرَب[2].

الدراسة والتحليل

العَقْل فِي كَلَام الْعَرَب : الدِّيَة ، سميت عَقلاً لِأَن الديَة كَانَت عِنْد الْعَرَب فِي الْجَاهِلِيَّة إبِلاً ، وَكَانَت أموالَ الْقَوْم الَّتِي يرقنون بهَا الدِّمَاء، فسمِّيت الدِّيَة عَقْلاً ؛ لأنّ الْقَاتِل كَانَ يُكلَّف أَن يَسُوق إبل الدِّيَة إِلَى فِنَاء وَرَثَة الْمَقْتُول ، ثمَّ يَعْقِلهَا بالعُقُل ، ويسلمها إِلَى أوليائه ، وأصل الْعقل فى اللغة : مصدر عقلتُ الْبَعِيرَ بالعقال أعقله عقلاً ، والعِقال : هو حَبل يُثْنَى بِهِ يَد الْبَعِير إِلَى رُكْبَتَيْهِ فيشدُّ بِهِ[3].

والعاقلة : هم الذين يعطون دية قتيل الخطأ، وهي صفة جماعة اسم فاعلة من العقل[4].

وأثر الشعبى المتقدم فى بيان أصناف ما لا تتحمله العاقلة من الديات ، وقد ذكر فيه أن جناية العمد تكون في مال الجاني. وكذلك الصلح ما اصطلحوا عليه

(١) هو عبد الرحمن بن يسار ، ولد فى خلافة عمر ، روى عن على وعثمان كان إماما حافظا فقيها أدرك مائ وعشرين صحابا من الأنصار توفى ١٨٨هـ . ينظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ١١ / ٤٥٥ ، ووفيات الأعيان ١٨ / ١٨٦ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٤ / ٤٤٥ / ٤٤٦ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ١ / ١٥٩ .

(٤) ينظر : مجمع بحار الأنوار ٣ / ٦٤٤ .

فهو في مال الجاني ، وكذلك اعتراف الجاني بالجناية من غير بيِّنة يكون في ماله ولا يصدق على العاقلة [١]

وإنما لا تعقل العاقلة واحدًا من هذه الثلاثة: لان العمد يوجب العقوبة ، فلا يستحق التخفيف عنه بتحمل العاقلة عنه شيئًا من الدية ، ولا تعقل الاقرار لان الدية وجبت بالاقرار بالقتل لا بالقتل نفسه ، والاقرار حجة قاصرة : أي أنه حجة في حق المقر، فلا يتعدى إلى العاقلة ، ولا تعقل العاقلة الاقرار بالصلح، لان بدل الصلح لم يجب بالقتل، بل وجب بعقد الصلح، ولان الجاني يتحمل مسئولية جنايته، وبدل المتلف يجب على متلفه[٢].

وقد اختلف فى تفسير قوله " ولا عبدًا " من جهة تحديد المراد بالعبد فى الأثر هل هو الجانى أم المجنى عليه على مذهبين :

المذهب الأول : أن معنى الأثر : أن العبد يجنى على حر ، فليس على عاقلة مولاه شيء من هذه الجناية ، وإنما جنايته في رقبته[٣] وهو مذهب محمد بن الحسن ، وقد استدل من ذهب إلى هذا القول بما روى عن ابن عباس من قوله ": لَا تعقل

---

(١) ينظر : شمس العلوم لنشوان الحميرى ٧ / ٤٦٧٤ .

(٢) ينظر : فقه السنة للسيد سابق ٢ / ٥٥٦ .

(٣) إِنْ كَانَ الْقَاتِلُ رَقِيقًا فَمَا وَجَبَ بِجِنَايَتِهِ مِنَ الْمَالِ سَوَاءٌ أَكَانَ دِيَةَ نَفْسٍ حُرٍّ أَوْ طَرَفَهُ، أَوْ قِيمَةَ عَبْدٍ أَوْ قِيمَةَ طَرَفِهِ، وَسَوَاءٌ كَانَتِ الْجِنَايَةُ عَمْدًا فَلَمْ يَجِبِ الْقِصَاصُ، أَوْ كَانَتْ خَطَأً فَعُفِيَ عَنْهَا عَلَى مَالٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَجِبُ فِي رَقَبَتِهِ وَهَذَا قَوْلُ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ.....وَقَال الْحَنَفِيَّةُ: إِذَا جَنَى الْعَبْدُ جِنَايَةَ خَطَأٍ بِقَتْلِ نَفْسٍ قِيل لِمَوْلاَهُ: إِمَّا أَنْ تَدْفَعَهُ بَدَلَهَا أَوْ تَفْدِيَهُ ... وَلأَنَّ الأَْصْل فِي الْجِنَايَةِ عَلَى الآْدَمِيِّ فِي حَالَةِ الْخَطَأِ أَنْ تَتَبَاعَدَ عَنِ الْجَانِي تَحَرُّزًا عَنِ اسْتِئْصَالِهِ وَالإِْجْحَافِ بِهِ، إِذْ هُوَ مَعْذُورٌ فِيهِ حَيْثُ لَمْ يَتَعَمَّدِ الْجِنَايَةَ، وَتَجِبُ عَلَى عَاقِلَةِ الْجَانِي إِذَا كَانَ لَهُ عَاقِلَةٌ، وَالسَّيِّدُ عَاقِلَةُ عَبْدِهِ؛ لأَِنَّ الْعَبْدَ يَسْتَنْصِرُ بِهِ – وَالأَْصْل فِي الْعَاقِلَةِ النُّصْرَةُ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ – فَتَجِبُ فِي ذِمَّتِهِ صِيَانَةً لِلدَّمِ عَنِ الإِْهْدَارِ. ينظر : الاستذكار ٨ / ١١٦ ، والموسوعة الفقهية الكويتية ٢٣ / ٧٧ .

الْعَاقِلَـة عمـدا وَلَا صـلحا وَلَا اعترافـا وَلَا مَـا جنـى الْمَمْلُـوك "[1] ، ففـى هـذه الروايـة التصريح بجعل الجناية جناية المملوك ، يعنى أن العبد هو الجانى .

المذهب الثانى : أن معنى الأثر هُوَ أَنْ يَجْنِي حُرٌّ عَلَى عَبْدٍ ، فَلَيْسَ عَلَى عَاقِلَة الْجَانِي شَيْءٌ ، إنَّما جِنَايَتُه فِي مَالِ من قتله خاصَّةً ، وإليه ذهب ابن أبى ليلى[2] ، وصوبه الأصمعى ، واختاره أبو عبيد[3].

تعليق واستنتاج

الذى أراه هنا تصويب اختيار أبى عبيد للمعنى فى الحديث وأن المراد به الكلام عن جناية الحر على العبد لا عكسه للآتى :

أولاً : أن سياق الأثر يدل على أن معناه فى جناية الحر على العبد ، وأن العاقلة لا تتحمل دية العبد المقتول بل يتحملها قاتله من ماله الخاص ؛ وذلك لأنه لو كان المعنى : أن العبد يقتل حرًا " لكان الأولى بالرواية أن تكون " ولا عن عبد " ولكنها جاءت ولا عبدًا "[4] فدل سياقه على أن العاقلة لا تتحمل دية العبد الذى

---

(١) ينظر : السنن الكبرى للبيهقى ٨ / ١٨٢ .

(٢) ينظر : المغنى لابن قدامة ٨ / ٣٨٢ .

(٣) يَعْنِي إذَا قَتَلَ الْعَبْدَ قَاتِلٌ، وَجَبَتْ قِيمَتُهُ فِي مَالِ الْقَاتِلِ، وَلَا شَيْءَ عَلَى عَاقِلَتِهِ، خَطَأً كَانَ أَوْ عَمْدًا. وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالشَّعْبِيِّ، وَالثَّوْرِيِّ، وَمَكْحُولٍ، وَالنَّخَعِيِّ، وَالْبَتِّيِّ ، وَمَالِكٍ، وَاللَّيْثِ، وَابْنِ أَبِي لَيْلَى، وَإِسْحَاقَ، وَأَبِي ثَوْرٍ ، وَقَالَ عَطَاءٌ، وَالزُّهْرِيُّ، وَالْحَكَمُ، وَحَمَّادٌ، وَأَبُو حَنِيفَةَ تَحْمِلُهُ الْعَاقِلَةُ؛ وَعَنْ الشَّافِعِيِّ كَالْمَذْهَبَيْنِ، وَوَافَقَنَا أَبُو حَنِيفَةَ فِي دِيَةِ أَطْرَافِهِ ، وَلَنَا، مَا رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَحْمِلُ الْعَاقِلَةُ عَمْدًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا صُلْحًا، وَلَا اعْتِرَافًا.» وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ، وَلَمْ نَعْرِفْ لَهُ فِي الصَّحَابَةِ مُخَالِفًا . ينظر : موطأ مالك ٥ / ١٢٧١ ، والمغنى لابن قدامة ٣٨٢/٨ .

(٤) ينظر : النهاية لابن الأثير ٣ / ٢٧٩ .

يقتله الحر، لأن كلام العرب أن يقال : عَقَلْتُ الْقَتِيلَ : أَعْطَيْتُ دِيَتَهُ ، وَعَقَلْتَ عَنْ فُلَانٍ، إِذَا غَرِمْتَ جِنَايَتَهُ[١].

فمجيء الرواية بلفظ " لا تعقل العاقلة عمدًا ولا عبدًا" يفهم منه عدم تحملها غرم جناية الحر على العبد ، ولو أريد المعنى الأخر لكانت الرواية " لا تعقل العاقلة عن عبد " يعنى لا تعقل فيما يجنيه العبد.

ثانياً : لو فسر الأثر على كون الكلام فى جناية العبد على الحر لكان العبد على هذا التفسير غير ميت ، فكيف يستقيم تحمل العاقلة عن غير ميت ، وهو ما أفادة الفيومى فى المصباح بقوله : " وَلَوْ كَانَ الْمَعْنَى عَلَى مَا قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ لَكَانَ الْكَلَامُ لَا تَعْقِلُ الْعَاقِلَةُ عَنْ عَبْدٍ ، فَإِنَّ الْمَعْقُولَ هُوَ الْمَيِّتُ وَالْعَبْدُ فِي قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ غَيْرُ مَيِّتٍ "[٢] .

ثالثاً : احتجاج من ذهب إلى أن الكلام فى جناية العبد على الحر بما روى عن ابن عباس بلفظ " ولا ما جنى المملوك " فلا حجة فيه لاختلاف الرواية عنه إذ لم يرو هذا الأثرإلا موقوفا عليه[٣] .

(١) ينظر : مقاييس اللغة عن الأصمعى ٤ / ٧٠ باب العين والقاف وما يثلهما فى الثلاثى.

(٢) ينظر : المصباح المنير ٢ / ٤٢٢ .

(٣) ينظر : الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٣ / ٧٤ .

٨ ـ فِي حَدِيث النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام أَنه قَالَ لعَلي عَلَيْهِ السَّلَام: إِن لَك بَيْتًا فِي الْجنَّة ، وَإِنَّك لذُو قرنيها " . (١)

قَالَ أَبُو عبيد : قد كَانَ بعض أهل الْعلم يتَأَوَّل هَذَا الحَدِيث أَنه : ذُو قَرْني الْجنَّة يُرِيد طرفيها ..... وَأما أَنا فَلَا أَحْسبهُ أَرَادَ ذَلِك وَالله أعلم ، وَلكنه أَرَادَ : إِنَّك ذُو قَرْني هَذِه الْأمة ، فأضمر الْأمة وَإِن كَانَ لم يذكرهَا ، وَإِنَّمَا اخْتَرْت هَذَا التَّفْسِير على الأول ، لحَدِيث عَن عليّ نَفسه ، هُوَ عِنْدِي مفسَّر لَهُ وَلنَا ، وَذَلِكَ أَنه ذكر ذَا القرنَين فَقَالَ : دَعَا قومه إِلَى عبَادَة اللَّه ، فضربوه على قرنيه ضربتين وَفِيكُمْ مثله ، فنرى أَنه أَرَادَ بقوله هَذَا نَفسه يَعْنِي : أَنِّي أَدْعُو إِلَى الْحق حَتَّى أُضرَب على رَأْسِي ضربتين يكون فِيهَا قَتْلِي (٢).

الدراسة والتحليل

قوله فى الحديث " وإنك لذو قرنيها " اختلف فى تأويله على مذهبين:

المذهب الأول : مذهب أبى عبيد أن المراد بقوله " لذو قرنيها " ، أراد ذو قرنى هذه الأمة " فأضمر الأمة ، وعليه يكون معنى الحديث : إرادة تشبيه على ـ كرم الله وجه ـ فى أمة الإسلام بذى القرنين وقد استدل أبو عبيد لذلك بوجهين :

(١) ويروى " إن لك كنزًا فى الجنة " وينظر الحديث فى : مصنف ابن ابى شيبة ٤ / ٧ ، ومسند أحمد ٢ / ٤٦٧ ، الزاهر ٢ / ٣٠٦ ، والمستدرك للحاكم ٣ / ١٣٣ ، ومشارق الأنوار ٢ / ١٧٩ ، والفائق ٣ / ١٧٣ ، وعمدة القارى ٢٠ / ١١٩ .

(٢) ينظر : غريب الحديث لأبى عبيد ٣ / ٧٨ وما بعدها .

الأول : أن الإضمار دون تقدم الذكر موجود فى كلام العرب والقرآن الكريم ، نحو قوله : " حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ "[١] يعنى الشمس وإن لم يتقدم ذكرها ، فقوله " وإنك لذو قرنيها " يحمل على ذلك من إضمار لفظ " الأمة " وإن لم يجر لها ذكر.

الثانى : ما جاء من حديث لعلى نفسه وذكر فيه ذا القرنين ثم قال "وفيكم مثله "[٢] يعنى بذلك نفسه ، أى هو فى هذه الأمة كذى القرنين من جهة أنه ناصح لله داع لقومه إلى الحق ، وأنه يضرب فى رأسه ضربتين يقتل منهما ، وقد فسرت الضربتان بأن إِحْدَاهمَا من عمرو بن ود كانت يَوْم الخَنْدَق ، وَالثَّانِية ضَرْبَة ابْن ملجم[٣] وَالْأَشْيَاءُ قَدْ تُشَبَّهُ بِالْأَشْيَاءِ لِشَبَهِهَا إِيَّاهَا فِي مَعْنًى وَإِنْ كَانَتْ لَا تُشْبِهُهَا فِي خِلَافِهِ .

المذهب الثانى : أن المراد بقوله " وإنك لذو قرنيها " فى الحديث أى صاحب طرفيها يعنى الجنة ، وقد استدل من ذهب لذلك بأن سياق الحديث يدعم ذلك التفسير لتقدم ذكر لفظ " الجنة فى الحديث [٤] .

---

(١) من الآية ٣٢ فى سورة ص .

(٢) وهو ما روى عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ : قَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: " سَلُونِي قَبْلَ أَنْ لَا تَسْأَلُونِي ، وَلَنْ تَسْأَلُوا بَعْدِي مِثْلِي " فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: مَا كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ ، أَمَلَكٌ كَانَ أَوْ نَبِيٌّ؟ قَالَ: " لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا وَلَا مَلَكًا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا ، أَحَبَّ اللهَ فَأَحَبَّهُ ، وَنَاصَحَ اللهَ فَنَصَحَهُ ، ضَرَبَ عَلَى قَرْنِهِ الْأَيْمَنِ فَمَاتَ ، ثُمَّ بَعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى قَرْنِهِ الْأَيْسَرِ فَمَاتَ ، وَفِيكُمْ مِثْلُهُ " . ينظر : مصنف ابن أبى شيبة ٦ / ٣٤٦ ، والآحاد والمثانى ١ / ١٤١ ، وأضداد الأنبارى ١/ ٣٥٤ .

(٣) ينظر : الفائق ٣ / ١٧٣ ، باب القاف مع الراء ، ومشارق الأنوار ٢ / ١٧٩ ، وتاج العروس ٣٥ / ٥٣٨ باب النون فصل القاف .

(٤) ينظر : شرح مشكل الآثار ٥ / ١١٩ .

تعليق واستنتاج

الذى أراه هنا هو مخالفة أبى عبيد فيما ذهب إليه من تأويل هذا الحديث ، وذلك لوجوه : منها "

١ - أن تفسيره يعارض سياق الحديث ، فسياق الكلام فى الحديث دائر حول الجنة وما أعد لعلى فيها ، فتقدم لفظ الجنة فى الحديث يؤذن بكون الضمير فى قوله " لذو قرنيها " يرجع إليها دون غيرها .

٢ - تفسير أبى عبيد يلجئ إلى القول بالحذف والإضمار دون تقدم الذكر ، وحمل اللفظ على ظاهره أولى لأن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاجه .

٣ - قوله فى الحديث " لذو طرفيها " فالطرفين مثنى طرف وهو فى اللغة : حد الشيئ ومنتهى آخره [١] ، فيكون المعنى إخبار عن حيازته وتملكه جميع أجزائها فهو كالمَلِك فيها ، وقد وردت بعض أحاديث تخبر بوجود ملوك فى الجنة من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمُلُوكِ أَهْلِ الْجَنَّةِ »[٢] وما روى عن أبى هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم : " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مُلُوكًا وَسَادَةً "[٣]ومن هنا قال الكلاباذى معقبًا : يجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «إِنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا» أَيْ أَنْتَ مَلِكُهَا الْمَخْصُوصُ بِالْمُلْكِ الْأَكْبَرِ وَإِنَّ لَكَ مُلْكًا فِي الْجَنَّةِ كُلِّهَا كَمَا كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مَخْصُوصًا بِمُلْكِ الْأَرْضِ كُلِّهَا يَضْرِبُ مِنْ مَشْرِقِهَا إِلَى مَغْرِبِهَا .. ثم قال :"

---

(١) ينظر : جمهرة اللغة ٢ / ٧٥٤ ، باب الراء والطاء وما بعدهما ، ولسان العرب ٢١٦/٩ باب الفاء فصل الطاء .

(٢) ينظر الحديث فى : سنن ابن ماجه ٢ / ١٣٧٨ ، و بحر الفوائد للكلاباذى ١/ ٢٨٥ ، والمعجم الكبير للطبرانى ٢٠ / ٨٤ .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٢ / ٨١ .

فَكَذَلِكَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مُلْكٌ هُوَ مَخْصُوصٌ بِهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْمُلُوكِ، فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ مُلُوكًا كَمَا أَنَّ فِيَ الدُّنْيَا مُلُوكًا [1].

٤ ـ استدلال أبى عبيد لمذهبه بما روى عن على من تشبيهه نفسه بذى القرنين لا يسلم له فيه ، من جهة أن قصره التشبيه على ما فسر ، يقتضى كون وجه الشبه الجامع بين على ـ رضى الله عنه ـ وذى القرنين هو الدعوة إلى الحق وأن قومه يضربونه ضربيتين ، وعلى فرض صحة ذلك ، فإنه لا يمنع من أن يكون المراد بوجه الشبه بينهما هو الملك التام فى كل ، والملك من أظهر وجوه الشبه بينهما .

(١) ينظر : بحر الفوائد ١ / ٢٨٥ .

الخاتمة

الحمد لله الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيئ عليم ، ونصلى على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين .

وبعد

فقد فرغت . بعون من الله . وتوفيقه من إخراج هذا البحث على صورته المتقدمة ، والتى تناولت فيها بالدراسة اللغوية اختيارات أبى عبيد فى كتابه غريب الحديث ، وقد أسفرت هذه الرحلة المباركة عن العديد من النتائج العامة والخاصة ، **فمن النتائج العامة** ما يلى :

١ . وضوح مقدار النضج العلمى الذى وصل إليه أبو عبيد فى مصنفه هذا والذى ظهر جليًا فى انتقائه واختياره لبعض الآراء التى قيلت فى تفسير ألفاظ الحديث ، والنص على ذلك مدعومًا بالدليل .

٢ . قيام الاختيار عند أبى عبيد على دعامتين أساسيتين هما : اللغة التى هى المنطلق الأول فى اختياره ، والروايات التفسيرية لبعض ألفاظ الحديث النبوى والتى جاءت مفسرة لبعض ألفاظه ومفرداته .

٣ . مخالفة أبى عبيد فى اختياره لرأى كثير من العلماء كأبى عمرو وأبى عبيدة والأصمعى وغيرهم .

أما النتائج الخاصة . وهى تلك النتائج المستخلصة من دراسة كل لفظة وتحليلها فهى كثيرة أكتفى منها بالآتى :

١ . قبول جميع ما جاء فى تفسير دلالة لفظ " الأرزة " فى حديث " مثل المنافق مثل الأرزة المجدية " ومن بينها ما ذهب إليه أبو عبيد .

٢ . ترجيح مذهب أبى عبيد فى تفسير الغرار فى الصلاة والتسليم بالنقص فيهما .

٣ ـ تصويب مذهب أبى عبيد فى تفسير لفظ " كأذَنِه لنبى " على أنه مصدر بمعنى استمع لا من الإذن بكسر الهمزة .

٤ ـ مخالفة أبى عبيد فيما ذهب إليه فى تأصيل المثل " عسى الغوير أبؤسا " وتصحيح مذهب الأصمعى فيه .

٥ ـ رد انكار أبى عبيد للفظ " الجُدجُد " بمعنى البئر بما رواه اليزيدى عن العرب فيه .

٦ ـ تصويب مذهب ابن قتيبة فى تفسير دلالة لفظ " الرِّز " فى حديث : من وجد رزًا فليتوضأ " خلافا لأبى عبيد .

٧. إمكانية قبول جميع ما جاء عن العلماء فى تفسير حديث " من أحبنا فليعد للفقر جلبابا " .

٨ ـ تصويب الرأى المخالف لأبى عبيد فى حديث " ليس منا من لم يتغن بالقرآن.

٩ ـ تخصيص دلالة لفظ الشعر فى حديث " خير له من أن يمتلئ شعرا " أولى من مذهب أبى عبيد القائل بالعموم .

١٠ ـ صحة مذهب أبى عبيد فى تعميم دلالة لفظتى"الحوية"والشهوة الخفية ".

١١ ـ حمل اللفظ على الظاهر أولى من تأويل أبى عبيد لحديث " الإيمان يمانٍ ".

١٢ ـ تصحيح مذهب أبى عبيد فى حمل اللفظ على المجاز فى حديث " عمود بطنه" .

١٣ ـ مخالفة أبى عبيد فى تأويل قوله فى الحديث " أنا ما طهوى " على الاستعارة. .

فهرس المصادر والمراجع

حرف الألف

١. الآحاد والمثانى لابن أبى عاصم ـ تحقيق د / باسم فيصل أحمد الجوابرة نشر: دار الراية – الرياض . الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ .

٢. أحكام القرآن للجصاص ـ تحقيق : محمد صادق القمحاوي ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت . تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ

٣. الأدب المفرد للبخارى تحقيق /محمد فؤاد عبد الباقي . نشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م .

٤. أساس البلاغة للزمخشرى . تحقيق / محمد باسل عيون السود ـ نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٥. الاستذكار لابن عبد البر ـ تحقيق : سالم محمد عطا، محمد علي معوض . نشر: دار الكتب العلمية – بيروت: الأولى، ١٤٢١ – ٢٠٠٠

٦. أسرار البلاغة فى علم البيان لعبد القاهر الجرجانى تحقيق / عبد الحميد هنداوى ط / دار الكتب العلمية بيروت الأولى ٢٠٠١ م .

٧. إصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث لابن قتيبة . تحقيق: عبد الله الجبوري الناشر: دار الغرب الإسلامي . الأولى١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٨. إصلاح المنطق لابن السكيت . تحقيق / محمد مرعب . ط / دار إحياء التراث العربى . الأولى ٢٠٠٢م .

٩. الأضداد للأنبارى ـ تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية لبنان ١٩٨٧م .

١٠. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. ط: جامعة أم القرى الأولى، ١٩٨٨ م.

١١. الإفصاح عن معانى الصحاح لابن هبيرة ـ تحقيق /فؤاد عبد المنعم أحمد . الناشر: دار الوطن . سنة النشر: ١٤١٧هـ

١٢. إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل . نشر: دار الوفاء مصرالأولى، ١٤١٩ هـ .

١٣. الألفاظ لابن السكيت ــ تحقيق د. فخر الدين قباوة الناشر: مكتبة لبنان الأولى، ١٩٩٨م .

١٤. أمالى القالى ـ تحقيق / محمد عبد الجواد الأصمعي . نشر: دار الكتب المصرية . الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م

١٥. الأمثال للقاسم بن سلام . تحقيق / الدكتور عبد المجيد قطامش . نشر: دار المأمون للتراث الأولى ١٩٨٠ م

١٦. أمثال العرب للمفضل الضبى . تحقيق /إحسان عباس . نشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان : الأولى، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م

١٧. الأمثال للهاشمى نشر/ دار سعد الدين، دمشق الطبعة:الأولى،١٤٢٣ هـ.

١٨. الانتصار للقرآن للباقلانى تحقيق: د. محمد عصام القضاة الناشر: دار الفتح – عَمَّان، بيروت . الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

حرف الباء

١٩. البارع فى اللغة لأبى على القالى ـ تحقيق / هشام الطعان . الناشر: مكتبة النهضة بغداد - الطبعة: الأولى، ١٩٧٥م

٢٠. بحر الفوائد المسمى بمعانى الأخبار للكلاباذى ت : محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي . ط : دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان . الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٢١. البدء والتاريخ . للمطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ) ـ الناشر:مكتبة الثقافة الدينية،بور سعيد . دون تاريخ .

٢٢. البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي . ط : دار القلم، دمشق . الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

حرف التاء

٢٣. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة . تحقيق / ابراهيم شمس الدين . نشر/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ـ دون تاريخ .

٢٤. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى . تحقيق / جماعة من المحققين . ط / دار الهداية . دون تاريخ

٢٥. تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار . ط / دار العلم للملايين بيروت . الرابعة ١٩٨٧م .

٢٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي تحقيق / عمر عبد السلام التدمري . نشر: دار الكتاب العربي . الثانية ١٩٩٣ م.

٢٧. تاريخ بغداد للخطيب البغدادى . تحقيق / بشار عواد معروف . ط/ دار الغرب بيروت ـ الأولى ٢٠٠٠م .

٢٨. تاريخ الطبرى . الناشر: دار التراث – بيروت . الطبعة: الثانية – ١٣٨٧ هـ

٢٩. التاريخ الكبير للبخارى ط / : دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن . تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان .

٣٠. تاريخ المدينة لابن شبة تحقيق /فهيم محمد شلتوت طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة عام النشر: ١٣٩٩ هـ .

٣١. تجريد الأسماء والكنى المذكورة فى كتاب المتفق والمفترق للخطيب البغدادى . تأليف القاضى أبى يعلى البغدادى تحقيق / شادى بن محمد ابن سالم . نشر مركز النعمان للبحوث . اليمن الأولى ٢٠١١م .

٣٢. التحرير والتنوير في التفسير للطاهر بن عاشور ط / الدار التونسية ١٩٨٤م

٣٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .
٣٤. تخليص الشواهد وتلخيص الفوائدلابن هشام الأنصاري المحقق: د. عباس مصطفى الصالحي نشر: دار الكتاب العربي: الأولى، ١٤٠٦
٣٥. تذكرة الحفاظ للذهبى ط / دار الكتب العلمية بيروت . الأولى ١٩٩٨ م
٣٦. ترتيب الأمالى الخميسية للشجرى تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت –الأولى، ٢٠٠١ م
٣٧. تصحيح الفصيح وشرحه لابن درستويه ، تحقيق : د / محمد بدوى المختون ط/ المجلس العلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٨م .
٣٨. تصحيفات المحدثين للعسكرى . تحقيق / محمود أحمد ميرة . ط / المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة . الأولى ١٤٠٢هـ .
٣٩. تفسير غريب ما فى الصحيحين " للحميدى . تحقيق د / زبيدة محمد سعيد عبد العزيز . ط / مكتبة السنة بالقاهرة . الأولى ١٩٩٥م .
٤٠. التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير فى أصول الحديث للنووى ـ تحقيق / محمد عثمان الخشت ط / دار الكتاب العربى الأولى ١٩٨٥ .
٤١. التكملة والذيل والصلة للصاغانى ـ تحقيق / جماعة من المحققين . نشر / مطبعة دار الكتب بالقاهرة .
٤٢. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر . تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري . الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ١٣٨٧ هـ.
٤٣. تهذيب الآثار للطبرى المحقق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا . الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م

٤٤. تهذيب اللغة للأزهرى تحقيق / محمد عوض مرعب . دار إحياء التراث العربى بيروت . الأولى ٢٠٠١م .
٤٥. التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ـ المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي الناشر: دار النوادر، دمشق: الأولى، ٢٠٠٨ م
٤٦. التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوىالناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٤٧. التيسير فى أصول واتجاهات التفسير لعماد على عبد السميع ط / دار الإيمان ٢٠٠٦م .

حرف الجيم

٤٨. الجامع لأحكام القرآن " تفسير القرطبى " تحقيق / أحمد االبردونى ، وإبراهيم أطفيش . ط / دار الكتب المصرية . الثانية ١٩٦٤ م .
٤٩. الجراثيم لابن قتيبة الدينورى . تحقيق / محمد جاسم الحميدى . نشر/ وزارة الثقافة دمشق . دون تاريخ .
٥٠. جمهرة الأمثال للعسكرى . ط / دار الفكر . بيروت . دون تاريخ.
٥١. جمهرة اللغة لابن دريد ـ تحقيق / رمزى منير بعلبكى . نشر / دار العلم للملايين بيروت . الأولى ١٩٨٧م .
٥٢. جمهرة النسب لابن الكلبى ـ تحقيق د / ناجى حسن ـ ط / عالم الكتب الأولى ١٩٨٦ م .

حرف الحاء

٥٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم الأصبهانى . الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .

حرف الخاء

٥٤. خزانة الأدب للبغدادى . تحقيق / عبد السلام محمد هارون . الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة . الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

حرف الدال

٥٥. دراسات فى النحو لصلاح الدين الزعبلاوى . موقع اتحاد كتاب العرب .

٥٦. الدلائل فى غريب الحديث للسرقسطى تحقيق د / محمد بن عبد الله القناص . نشر / مكتبة العبيكان بالرياض - الأولى ٢٠٠١م .

٥٧. ديوان الأخطل تحقيق / محمد مهدى ناصر الدين ط / دار الكتب العلمية الثانية ١٩٩٤م .

٥٨. ديوان الأدب للفارابى . تحقيق د / أحمد مختار عمر . ط / دار الشعب القاهرة ٢٠٠٣م .

٥٩. ديوان الأعشى الكبير . تحقيق د / محمد حسين . نشر / مكتبة الآداب .

٦٠. ديوان ذى الرمة تحقيق / أحمد حسن بسبح . ط/ دار الكتب العلمية . الأولى ١٩٩٥ م .

٦١. ديوان الراعى النميرى تحقيق وشرح د / واضح الصمد ط / دار الجيل . الأولى ١٩٩٥م .

٦٢. ديوان أبى زبيد الطائي ـ جمع د / نورى حمودى القيسى . ط / دار المعارف بغداد .

٦٣. ديوان زهير بن أبى سلمى تحقيق / على فاعور ـ ط / دار الكتب العلمية الأولى ١٩٨٨م .

٦٤. ديوان عدى بن زيد تحقيق د / محمد جبار المعيبد . ط / دار الجمهورية بغداد ١٩٦٥م .

٦٥. ديوان الفرزدق . تحقيق / على فاعور ط / دار الكتب العلمية . الأولى ١٩٨٧م.

٦٦. ديوان مهلهل بن ربيعة تحقيق / طلال حرب ط / الدار العالمية دون تاريخ.
٦٧. ديوان أبى النجم العجلى تحقيق د/ محمد أديب جمران ط ٢٠٠٦م .

حرف الراء

٦٨. روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي تحقيق / على عبد البارى عطية ط / دار الكتب العلمية . الأولى ١٤١٥هـ .

حرف الزاى

٦٩. الزاهر فى معانى كلمات الناس لأبى بكر الأنبارى . تحقيق د / حاتم صالح الضامن . نشر / مؤسسة الرسالة بيروت . الأولى ١٩٩٢م .
٧٠. الزهد لأبى داوود السجستانى ـ تحقيق / أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم . الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان . الطبعة : الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

حرف السين

٧١. السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير للشيخ علي بن أحمد الشهير بالعزيزي دون تايخ .
٧٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد بن ناصر الدين الألبانى . نشر /مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض . الطبعة: الأولى .
٧٣. سنن الترمذى تحقيق / بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر: ١٩٩٨م .
٧٤. سنن أبى داوود السجستانى تحقيق / شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي . الناشر: دار الرسالة العالمية : الأولى – ٢٠٠٩ م
٧٥. سنن الدارقطنى تحقيق / شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى – ٢٠٠٤ م

٧٦. سنن الدارمى تحقيق / حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع ، السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.
٧٧. السنن الكبرى للبيهقى تحقيق /محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
٧٨. السنن الكبرى للنسائي تحقيق / حسن عبد المنعم شلبي . مؤسسة الرسالة – بيروت . الأولى - ٢٠٠١ م
٧٩. سنن النسائي . تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة . الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب . الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م
٨٠. سنن ابن ماجه تحقيق ــ شعيب الأرنؤوط ورفاقه ــ الناشر: دار الرسالة العالمية . الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
٨١. سير أعلام النبلاء للذهبى تحقيق / مجموعة من المحققين ط / مؤسسة الرسالة الثالثة ١٩٨٥ .

حرف الشين

٨٢. شرح السنة للبغوى تحقيق / شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش . الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
٨٣. شرح السيوطى على صحيح مسلم تحقيق / أبو اسحق الحويني الأثري . الناشر: دار ابن عفان - الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م
٨٤. شرح سنن ابن ماجه للسيوطى وغيره ـ الناشر: قديمي كتب خانة – كراتشي . دون تاريخ .
٨٥. شرح صحيح البخارى لابن بطال تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية . الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م
٨٦. شرح الفصيح لابن هشام اللخمى تحقيق د / مهدى عبيد جاسم . الأولى ١٩٨٨م .

٨٧. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى لعبد الله بن محمد الغنيمان الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ
٨٨. شرح المشكاة للطيبى . المحقق: د. عبد الحميد هنداوي . الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) الأولى ١٩٩٧م
٨٩. شرح مشكل الآثار للطحاوى تحقيق / شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى – ١٤٩٤ م
٩٠. شرح معانى الآثار للطحاوى تحقيق / محمد زهري النجار – محمد سيد جاد الحق) الناشر: عالم الكتب: الأولى – ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م
٩١. شرح النووى على صحيح مسلم "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت: الثانية، ١٣٩٢.
٩٢. شعب الإيمان للبيهقى ـ تحقيق / مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند : الأولى – ٢٠٠٣ م
٩٣. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان الحميرى ــ تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – نشر: دار الفكر الاولى – ١٩٩٩ م .

حرف الصاد

٩٤. صحيح البخارى "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه "تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر . الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .
٩٥. صحيح ابن حبان تحقيق شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٩٦. صحيح مسلم " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

حرف الطاء

٩٧. طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة تحقيق د/ الحافظ عبد العليم خان . ط عالم الكتب . بيروت ـ الأولى ١٤٠٧هـ .

٩٨. طبقات المفسرين للداوودى . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت دون تاريخ .

٩٩. طبقات النحويين واللغويين للزبيدى تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ط/المعارف . الثانية دون تاريخ .

حرف العين

١٠٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعينى الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٠١. عمدة الكتاب للنحاس . تحقيق / بسام عبد الوهاب الجابي . نشر: دار ابن حزم – الأولى ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

١٠٢. العين للخليل بن أحمد الفراهيدى . تحقيق د / مهدى المخزومى ، د/إبراهيم السامرائي . نشر دار ومكتبة الهلال . دون تاريخ .

حرف الغين

١٠٣. غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى بعناية / برجستراسر . نشر/ مكتبة ابن تيمية .

١٠٤. غريب الحديث لابن الجوزى تحقيق د/عبد المعطي أمين القلعجي نشر: دار الكتب العلمية – بيروت –الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٠٥. غريب الحديث للحربى تحقيق د / سليمان إبراهيم العايد . نشر جامعة أم القرى . الأولى ١٤٠٥هـ .

١٠٦. غريب الحديث للخطابى تحقيق / عبد الكريم الغرباوى . ط / دار الفكر دمشق ١٩٨٢م .

١٠٧. غريب الحديث لأبى عبيد تحقيق د/ محمد عبد المعيد خان . مطبعة دائرة المعارف العثمانية ـ الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

١٠٨. الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام . تحقيق / صفوان عدنان داوودى . نشر / مجلة الجامعة الإسلامية ١٤١٤هـ .

١٠٩. الغريبين للهروي تحقيق / أحمد فريد المزيدي . نشر / مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ط / الأولى ١٩٩٩م.

حرف الفاء

١١٠. الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ـ تحقيق / علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم . نشر / دار المعرفة . الثانية دون تاريخ .

١١١. الفاخر للمفضل الضبى ـ تحقيق /تحقيق: عبد العليم الطحاوي . الناشر: دار إحياء الكتب العربية . الطبعة: الأولى، ١٣٨٠ هـ.

١١٢. فتح الباري شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ .

١١٣. فتح المنعم شرح صحيح مسلم ـ الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين . الناشر: دار الشروق الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

١١٤. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل تحقيق / د. وصي الله محمد عباس الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣

١١٥. فقه السنة لسيد سابق ـ ط / دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان . الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

١١٦. الفهرست لابن النديم . تحقيق / إبراهيم رمضان . دار المعرفة بيروت . الثانية ١٩٩٧م .

١١٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ .

حرف القاف

١١٨. قصة الأدب فى الحجاز . المؤلف: عبد الله عبد الجبار – محمد عبد المنعم خفاجى ـ الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية

حرف الكاف

١١٩. الكامل فى اللغة والأدب للمبرد . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة . الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

١٢٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري . نشر / دار الكتاب العربي بيروت الثالثة ١٤٠٧هـ

١٢١. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزى . المحقق: علي حسين البواب . الناشر: دار الوطن – الرياض.

١٢٢. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم . لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي ، نشر: دار المنهاج – الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م

حرف اللام

١٢٣. لباب التأويل فى معانى التنزيل " تفسير الخازن " ت/ محمد على شاهين ط / دار لكتب العلمية بيروت دون تاريخ .

١٢٤. لسان العرب لابن منظور ط / دار صادر بيروت الثالثة ١٤١٤هـ.

١٢٥. اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح لشمس الدين البرماوى تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب . الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.

حرف الميم

١٢٦. المجالسة وجواهر العلم لأبى بكر لدينورى تحقيق / أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر : جمعية التربية الإسلامية (البحرين ، دار ابن حزم (بيروت – لبنان) تاريخ النشر : ١٤١٩هـ

١٢٧. مجمع الأمثال للميدانى ـ تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد . نشر / دار المعرفة بيروت . دون تاريخ .
١٢٨. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار لمحمد طاهر ابن علي الكجراتي . ط/ دائرة المعارف العثمانية: الثالثة، ١٩٦٧م.
١٢٩. مجمل اللغة لابن فارس ــ تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
١٣٠. المجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث لأبى موسى المدينى تحقيق/ عبد الكريم العزباوى . نشر جامعة أم القرى . الأولى ١٩٨٦ م
١٣١. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده . تحقيق / عبد الحميد هنداوي . نشر: دار الكتب العلمية – بيروت . الأولى ٢٠٠٠ م .
١٣٢. المذكر والمؤنث لمحمد بن القاسم الانبارى ـ تحقيق / محمد عبد الخالق عضيمة . نشر وزارة الأوقاف المصرية ـ ١٩٨١م .
١٣٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا على القارى الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م
١٣٤. المسالك فى شرح موطأ مالك لابن العربى قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني . الناشر: دَار الغَرب الإسلامي . الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م
١٣٥. المسالك والممالك لابن خرداذبة (المتوفى: نحو ٢٨٠هـ) الناشر: دار صادر أفست ليدن ، بيروت ١٨٨٩ م .
١٣٦. المسالك والممالك للبكرى نشر/ دار الغرب الإسلامى ١٩٩٢ م
١٣٧. مستخرج أبى عوانة "المسنَد الصَّحيح المُخَرّج عَلى صَحِيح مُسلم لأبى عوانة الإسفرَاييني تحقيق: مجموعة من المحققين الأولى ٢٠١٤ م .

١٣٨. المستدرك على الصحيحين للحاكم . تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت . الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠

١٣٩. المستقصى فى أمثال العرب للزمخشرى ـ ط / دار الكتب العلمية – بيروت . الثانية ١٩٨٧م

١٤٠. مسند إسحاق بن راهوية المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي . الناشر: مكتبة الإيمان – المدينة المنورة . الأولى، ١٩٩١م .

١٤١. مسند الإمام أحمدبن حنبل . المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ـ الناشر: مؤسسة الرسالة : الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

١٤٢. مسند البزار تحقيق / مجموعة من المحققين . الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ـ الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)

١٤٣. مسند الدارمى تحقيق / الدكتور/ مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني الناشر: (بدون ناشر) الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م

١٤٤. مسند الشافعى . نشر دار الكتب العلمية بيروت .

١٤٥. مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضى عياض . نشر المكتبة العتيقة . دون تاريخ .

١٤٦. المصاحف لابن أبى داوود السجستانى المحقق: محمد بن عبده الناشر: الفاروق الحديثة القاهرة . الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م

١٤٧. المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للفيومى ــ ط / المكتبة العلمية بيروت . دون تاريخ .

١٤٨. مصنف ابن أبى شيبة تحقيق / كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض . الطبعة: الأولى . ١٤٠٩هـ

١٤٩. مصنف عبد الرزاق الصنعانى . المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي . الناشر: المجلس العلمي– الهند . الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ

١٥٠. مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي الناشر: وزارة الأوقاف بقطر : الأولى- ٢٠١٢ م
١٥١. المطلع على ألفاظ المقنع لشمس الدين البعلى المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع الأولى - ٢٠٠٣م
١٥٢. مظاهر التطور الدلالى د / محمد داوود مقال على الشبكة العنكبوتية.
١٥٣. المعارف لابن قتيبة ، تحقيق: ثروت عكاشةالناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة . الطبعة: الثانية، ١٩٩٢ م
١٥٤. معانى القرآن لأبي جعفر النحاس تحقيق / محمد على الصابونى الناشر: جامعة أم القرى - الأولى، ١٤٠٩هـ .
١٥٥. معانى القرآن للفراء . تحقيق / محمد علي النجار ورفاقه . الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر . الطبعة: الأولى . دون تاريخ .
١٥٦. معالم السنن شرح سنن أبى داوود للخطابى ط / المطبعة العلمية – حلب . الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م
١٥٧. معرفة السنن والآثار للبيهقى المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي الأولى ١٩٩١م .
١٥٨. معجم الأدباء لياقوت الحموى تحقيق / إحسان عباس . ط / دار الغرب الإسلامى . الأولى ١٩٩٣م
١٥٩. المعجم الاشتقاقى المؤصل لألفاظ القرآن الكريم) د. محمد حسن حسن جبل . الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة : الأولى، ٢٠١٠ م.
١٦٠. المعجم الكبير للطبرانى . تحقيق / حمدي بن عبد المجيد السلفي . دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة . الطبعة: الثانية
١٦١. معجم لغة الفقهاء لمحمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي . الناشر: دار النفائس . الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٦٢. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة . نشر مكتبة المثنى بيروت .
١٦٣. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر للشيخ / عادل نويهض . ط / مؤسسة نويهض للثقافة الثالثة ١٩٨٨م .
١٦٤. المُعْلم بفوائد مسلم لمحمد بن علي التَّمِيمي المحقق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر الناشر: الدار التونسية الطبعة: الثانية ١٩٨٨ م
١٦٥. المغرب فى ترتيب المعرب للمطرزى . ط / دار الكتاب العربي . دون تاريخ .
١٦٦. المغنى لابن قدامة المقدسى . نشر مكتبة القاهرة دون تاريخ .
١٦٧. المفردات فى غريب القرآن للراغب . تحقيق / صفوان عدنان داوودى . ط / دار القلم بيروت ـ الأولى ١٤١٢هـ .
١٦٨. مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق / عبد السلام محمد هارون نشر: دار الفكر ١٩٧٩ م.
١٦٩. المقصور والممدود للقالى . تحقيق / أحمد عبد المجيد هريدى . مكتبة الخانجى . الأولى ١٩٩٩م .
١٧٠. المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل تحقيق / د محمد بن احمد العمرى . نشر/ جامعة أم القرى . الأولى ١٩٨٩م .
١٧١. المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى . تحقيق / محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا نشر: دار الكتب العلمية . الأولى ١٩٩٢ م .
١٧٢. المنتقى شرح الموطأ لسليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي الأندلسي : مطبعة السعادة – مصر . الأولى ١٣٣٢
١٧٣. الموسوعة الفقهية الكويتية ط / عناية وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ١٤٠٤هـ.
١٧٤. موطأ الإمام مالك برواية محمد بن الحسن الشيبانى . تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف الناشر: المكتبة العلمية لطبعة: الثانية دون تاريخ.

١٧٥. ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى تحقيق / محمد على البجاوى ط / دار المعرفة بيروت ١٩٦٣م .

حرف النون

١٧٦. النظم المستعذب فِي تفْسِير غرِيبِ أَلْفَاظِ المهَذَّبِ لابن بطال الركبى دراسة وتحقيق وتعليق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم الناشر: المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٩٨٨م .

١٧٧. النكت والعيون " تفسير الماوردى " . للماودى المصري . تحقيق / السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم . ط / دار الكتب العلمية بيروت . دون تاريخ

١٧٨. نهاية الأرب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى ـ ط / دار الكتب بالقاهرة . الأولى ١٤٣٢ هـ

١٧٩. النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير . تحقيق / طاهر احمد الزاوى ، محمود محمد الطناحى . ط / المكتبة العلمية بيروت . ١٩٧٩م .

١٨٠. نيل الأوطار للشوكانى تحقيق: عصام الدين الصبابطي . الناشر: دار الحديث، مصر . الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

حرف الواو

١٨١. الوافى بالوفيات للصفدى تحقيق / أحمد الأرناؤوط وتركى مصطفى نشر/ دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠٠٠م .

١٨٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ـ تحقيق / إحسان عباس ط / دار صادر بيروت .